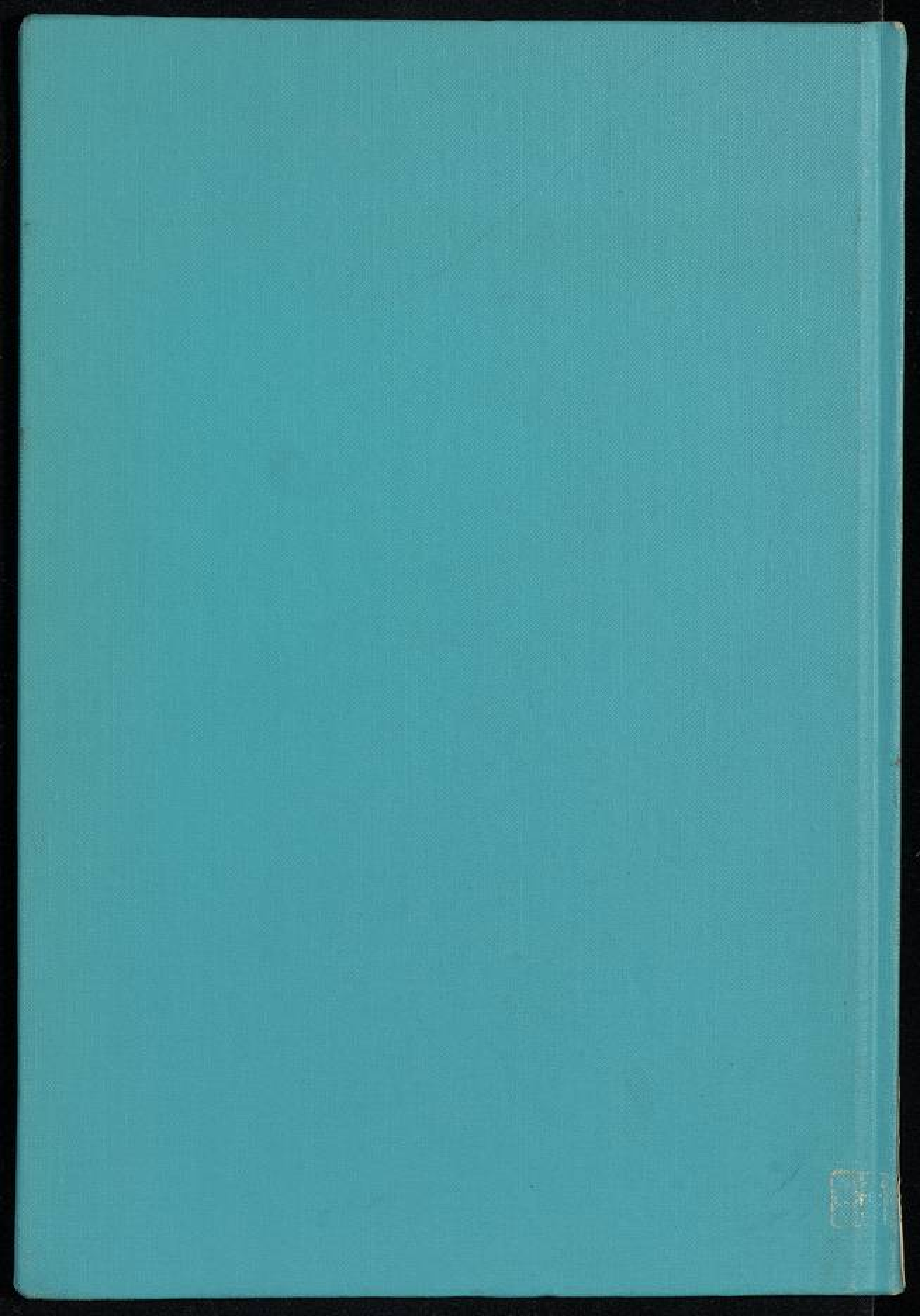
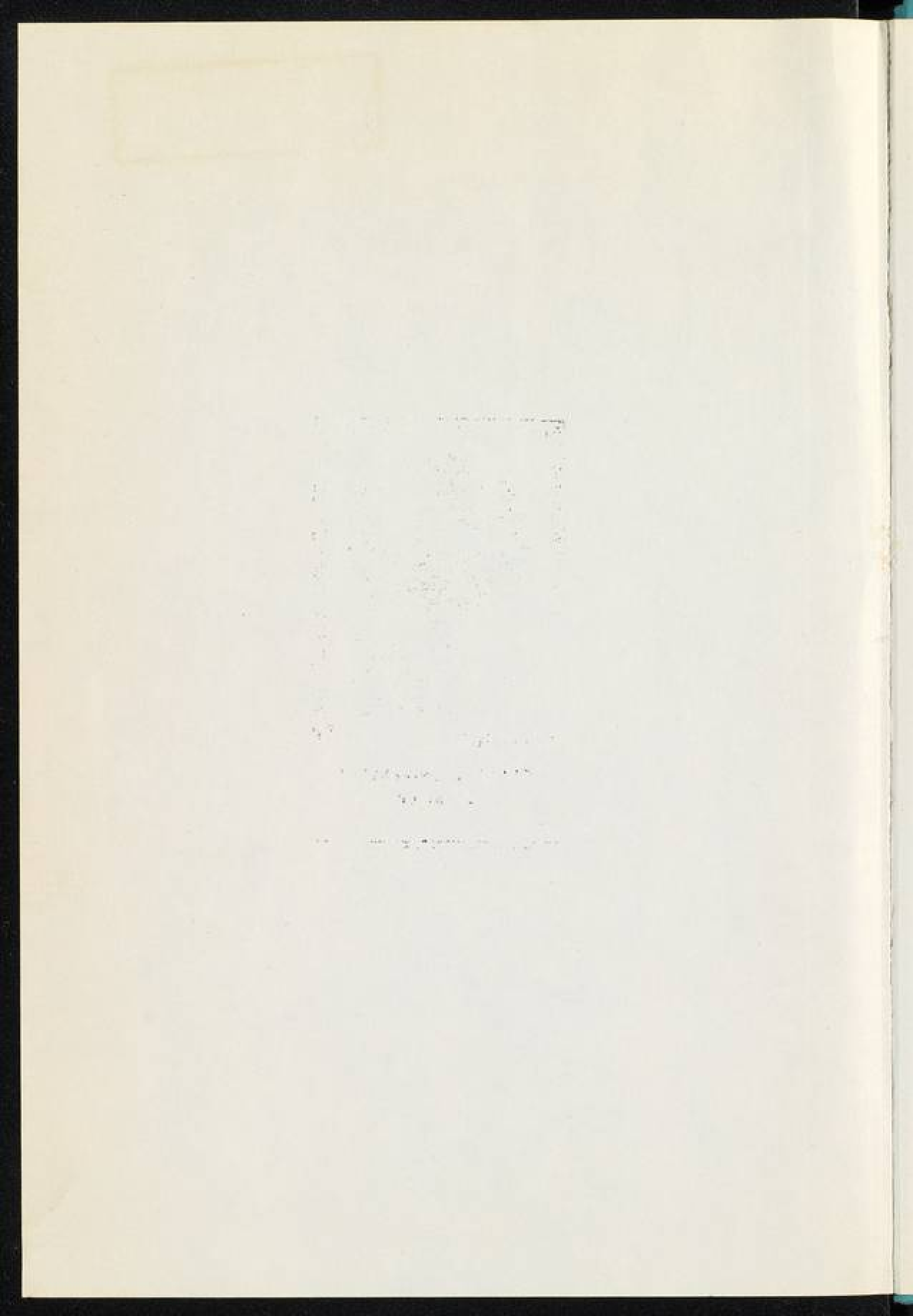
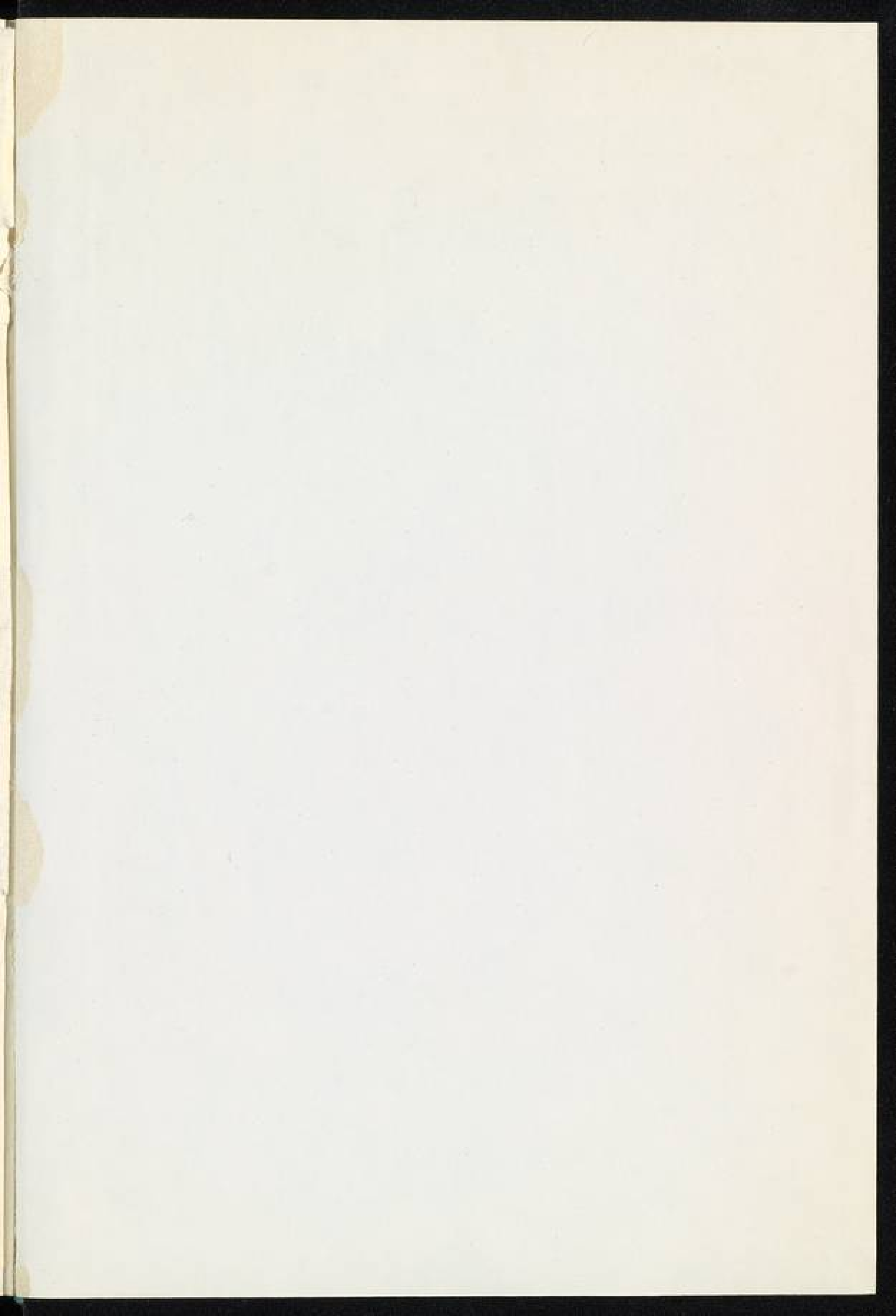








فخري البارودي

تاريخ يتكلّم

الطبعة الأولى

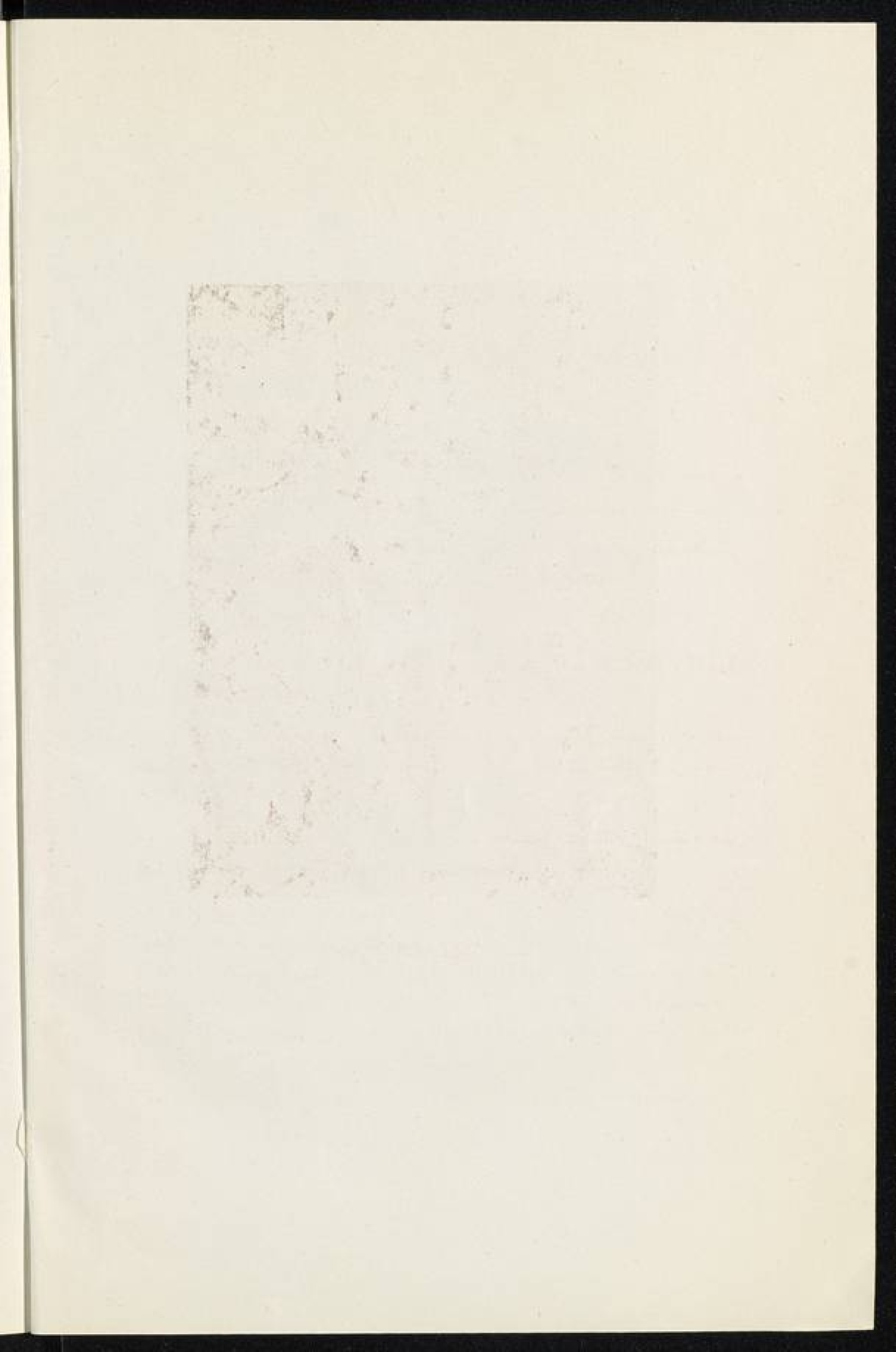
دمشق

١٩٦٠

مطابع ابن زيدون بدمشق



فخري البارودي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى وبعد :

يقول الجاحظ :

الشعر صعب وطويل سلمه	اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه	يريد أن يعربه فيعجمه

وقد اظهر لنا في هذين البيتين باسلوب رقيق ما وصفه من ماهية الشعر الذي هو ملكة راسخة في النفوس منذ الفطرة لايمكن تكلفها .

والشعر في اللغة :

شعر به ، علم به ، وفطن به ، وعقله ، والشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وان كان كل علم شعرا .. اه .

واني اذ اقدم ديواني فانما اقدم خواطر مرت بفكري وسوانح طافت بخيالي فنظمت ابياتا أو قصائد نوهت قبل كل منها بالاسباب التي دعتني الى النظم .

والشعر كالفاكهة فما كل من أكل نوعا منها استطابه واستلذه فمن استطاب أكل التفاح مثلا ربما مج أكل العنب والعكس بالعكس .

والشعر كذلك ربما لايستلذ كل قارىء كل ما قرأ منه لأن طبائع الناس تختلف باختلاف أذواقهم واخلاقهم وميولهم وأمزجتهم على ان النظم السالم لابد وأن يتضمن حقيقة تشف عنها الاستار اللطيفة التي تكشف عن ضمير الشاعر باظهار التصورات والاخيلة ، والاستعارات ، والكنايات والتشبيهات ، وغير ذلك من المجازات التي هي من أكبر دواعي زينة الشعر واظهار جماله ورونقه وعسى أن يكون التوفيق حليفي في تصوير ما دار بخلدي من الافكار في حياتي .

واني أرجو من الذين لايرضون عما أقدم لهم في هذا الديوان لتباين طبائعنا أن يستروا ما يرون فيه من الهفوات ورحم الله العتابيَ القائل :

من قرض شعرا ، أو وضع كتابا ، فقد استهدف للخصوم ، واستشرف للألسن ، الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ((وقليل ما هم))

والله أرجو أن يكون قد وفقني الى تصوير ما سنح لي من أخيلة ، وتسجيل ما مر بي من احداث ، وأن يُنظر الى هذه السوانح بعين العدل والتسامح والحكم بغير الهوى والغرض .

ولا بد لي من أن أوجه نظر قرائي الاعزاء الى أني حين كان يعترضني من العقبات الصرفية أو النحوية التي يقيمها في سبيلي ((المرحوم ابو الاسود الدؤلي أو المغفور له سيبويه)) من عثرات كأداء كنت أقرأ الفاتحة لروحيهما وأضع ما يخالف قواعدهما بين قوسين لاتخلص من انتقاد النحويين، والسلام.

فخري البارودي



طين وماء

كانت ولاية سورية احدى ولايات الدولة العثمانية وكنا نسمع عن الطائرات ولكننا لم نكن رايناها بعد ، وكنا نطالع المجلات العربية والاجنبية ونرى فيها رسم الطائرات وهي بحالة بدائية وكم كنا نتشوق لرؤية الطيارة في السماء الى ان اعلنت حكومة الولاية ان طائرة فتحي بك ستصل الى دمشق في اليوم الفلاني من شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٢هـ وهي اول طائرة تحوم في سماء دمشق . وفي اليوم المذكور خرج اهالي دمشق قاطبة الى مرجة الحشيش التي اقامت حكومتنا اليوم معرض دمشق فيها ، ولما أقبلت الطائرة وحامت فوق دمشق ووصلت الى المرج الأخضر وهبطت على مهل هرع الناس من كل حدب وصوب لمشاهدتها ومصافحة راكبيها وقد وصل الطياران فتحي وصادق وعلائم التعب الشديد بادية عليهما وجلسا في المخيّم الذي اقامته حكومة الولاية ووقف الخطباء والشعراء يرحبون بالضيفين ، والشاعران اللذان القيا شعرا في ذلك اليوم هما الشيخ ابو السعود مراد والشيخ عبد الرحمن القصار ، وقد أرسلت هذه القصيدة الى جريدة المقتبس التي كان يصدرها المرحوم الاستاذ محمد كرد علي بعد أن رأيت الطائرة مرحبا بالطيار فتحي ونشرت بالعدد ١٤٢٢ من المقتبس بتاريخ ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٢م .

طين وماء

يا سماء الشام يا خير سماء ... رحبي بالضيف مرفوع اللواء
ضيفنا يا شام نسر ناطق ... سابق النسر وعقبان السماء
ضيفنا طيارة فارسها ... صيَّر الفولاذ طيرا في الفضاء
أملاك أنت يا (فتحي) أجب ... أم وليّ من كبار الأولياء
ان ما جئت به معجزة ... ذكرتنا معجزات الأنبياء
قد فتحت اليوم ملكا طارفا ... عجزت عنه الملوك القدماء
وطئت أقدامك اليوم سما ... قصرت عنها أماني العظماء
قم وصافحني بكف صافحت ... في ذرى عليائنا كف ذكاء
آه ما أحلى بلادي عندما ... يرتقي أبناؤها متن العلاء
ان يكن مركبكم من صنعكم ... عندها جروا ذيول الخيلاء
يا بني العُرب ويا نسل الألى ... علموا الغرب فنون الارتقاء
هل علمتم ان أجدادكم ... فكروا يوما بتسخير الهواء
هذه طيارة قد صنعت ... في بلاد الغرب في أبهى رواء
حلقت نرنو لها في أرضنا ... وهي قرب الشمس في أسنى سماء
كل هذا أثر العلم الذي ... جعل الافرنج قوما أقوياء
انما الافرنج قوم مثلنا ... جسمهم ركب من طين وماء
لا تظنوا أننا لا نرتقي ... علمونا واقطفوا زهر الذكاء
لنجاري الغرب في وثبته ... في رحاب الأرض أو أفق السماء

الملحمـة الصادقـة

نظمت هذه القصيدة اثناء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م ونشرتها في جريدة المرحوم نجيب نصار (الكرمل) التي كانت تصدر في حيفا وقد ارسلت منها نسخا لجميع ملوك ورؤساء حكومات الاقطار العربية في ذلك التاريـخ :

وحي الشعـر

مات وحي الشعر مذ مـات الاباء — وبـذا ماتت نفـوس الشعـراء

وقضـى الأحرارُ همـا وأسـى — وغـدا الأمر بأيـدي الادعيـاء

وسَراة العُرب في الحرب نسوا — أو تناسـوا واجبـات الزعمـاء

ولـذا صـرنـا الـى متربـة — جعلتنـا فـي عـداد الأسـراء

يا بني قحطـان قحـط واحـد — يفقـد الأمـة أسبـاب الهنـاء

عندنـا بالمـال قحـط فـاتك — وبنـا قحـط رجـال ونسـاء

وغـدا أهـل الحجى في بـله — ولدى القحط فهل يجدي الذكاء

قـد أضعنـا كـل مـا خلفـه — سلف العـرب الأبـاة الشرفـاء

مـن تراث المجـد والعـز الذي — بذلوا في نيـله أزكى الدمـاء

الوعد الكاذب

كـان الاتراك بعد فتحهم بلاد الشام يحكمون المملكـة العثمانية باسم الدين ، وكانت سورية ولاية من ولايات الدولة العثمانية كمـا كانت حلب وبيروت والحجاز ونجد والولايات العربية ولايات عثمانية تابعة للدولة مثل بقية الولايات التركية ، والارناؤوطية والكردية وغيرها من ولايات الدولـة وكان الاتراك في أيام السلطان عبد الحميد وما قبله يحكمون البلاد باسم الدين الاسلامي ، ولما قـام رجال جمعية تركيا الفتاة بالانقلاب ووضعـوا الدستور وخلعوا السلطان عبد الحميد وفتحوا البرلمان تنكروا لغيرهم مـن العناصر ولا سيما العرب ، ولما أصبح العهد عهـدا نيابيا قـام شبان العرب يطالبون الاتراك بتطبيق الدستور والمساواة بين الترك والعرب وطلبوا مثـل بقية العناصر غير المسلمـة المساواة بالوظائف وطالبوا بالاصلاح فاضطرب الاتراك وجعلوا يفتشون عن طرق توقف العناصر عند حدها ولـما وقعت الحرب العامة الاولى ١٩١٤ دخلت فيها تركيا الحرب مع الالمان فوجد الاتراك فرصة للتنكيل بالعناصر المضادة خصوصا العنصر العربي وشنق جمال باشا القائد التركي الذي ارسلته الاستانة حاكما عسكريا على راس الجيش الرابع من أحرار العرب من شنق ليخضع بقية العناصر لسلطة الدولة واخذ الناس بالارهاب ، عندها وجد الافرنج فرصة مناسبة لتحريك العناصر غير المسلمة التي كانت تستسلم اليهم فكانت الحكومة الافرنسية تحمي الكاثوليك والحكومة الروسيـة تحمي الارثوذكس والايطالية تحمي الموارنة ، والانكليز يحمـون البروتستانت والدروز وأثناء هذه الحرب مدت هذه الدول اصبعها لتحريك العرب ضد الاتراك ونجحت بذلك حيث وجدت منفذا بعد أن أعلنت الثورة العربية تحت قيادة الشريف حسين بن علي وأولاده واشترك العرب بهـذه الثورة فوصفت ذلك بقولي :

عرف الافرنـج مـاحل بنـا ... مـن بـلاء وانحطـاط وعيـاء

طمعـوا فينـا وجاسوا أرضنـا ... ورأوا فيـها مـن الترك استياء

حينمـا الاتراك جهـرا رفعـوا ... عن نوايا السوء مسدول الغطـاء

وجد الافرنج من هذا الجفا فرصة فاهتبلوها باشتهاء
ورأوا أنّ النفوس امتلأت والى الثورة آن الالتجاء
فاستثاروا بأوعاد بها لبني قومي من الاسر نجاء
وعدونا بكيان ثابت وبلين القول غروا البسطاء
عاهدونا وحفظنا عهدهم ودخلنا الحرب يحدونا الرجاء
وتبعناهم وسرنا جنبهم ومشينا معهم دون اتقاء
لعبوا ماييننا لعبتهم وأداروها بخبث ودهاء
ونهضنا نهضة سامية ومضينا للوغى أيّ مضاء
فانتصرنا وظننا أننا قد خرجنا من ظلام لضياء
وفرحنا بكيان زاهر وتنفسنا لهذا الصعداء
وانتشينا نشوة فارغة ورمينا دلونا بين الدلاء

كبش الفـداء

لما قام الشريف حسين بن علي بالثورة على الاتراك التحق به كثـير من الشبان العرب من الضباط في الجيش العثماني وغيرهم من الاحرار وتحالف الشريف مع الانكليز وكسب الحلفاء الحرب ونكلوا بوعودهم وقسموا بلادنا وانتدبوا بعضهم بعضا على البلاد العربية واضحت الحكومات المحلية مثل لعب الاولاد فقلت :

ربحـوا الحرب وكنّـا معهـم	وسكرنـا بـانتصـار الحلفـاء
قسّمـوا الأسلاب فيمـا بينهم	أكلـوا اللب وثنـوا بالتحـاء
نقضـوا العهـد ولـم يحترموا	عهـدهم ياللرجـال الشـرفـاء
لـم يصبنـا حصة مـن فوزنـا	غـير شكـرٍ ومـديحٍ وثنـاء
واذا أتعابنـا ضـاعت سـدى	واذا أوطاننـا كـبش الفـداء
واذا استقـلالنـا مهـزلـة	فقبضنـاه هبـاء فـي هبـاء
ووجـدنـا بعـدهـا أنفسنـا	مثـل أبنـاء كـبـار الأغنيـاء
عندنـا من كُـلّ أنواع الدُمى	لعبٌ نلهـو بهـا صيف شتـاء

كراسي الوزراء

بعد انتصار الحلفاء وخروج تركيا من الولايات العربية دخل الافرنسيون بلاد الشام فجعلوا من ولاية سورية اربع دول هي دولة حلب ودولة العلويين ودولة دمشق ودولة جبل الدروز وجعلوا لكل دولة منها علما خاصا وعينوا لبعض هذه الدول وزارات ووضعوا لكل وزارة مستشارا فكان الوزير وزيرا بالاسم فقط والمستشار هو الآمر الناهي الحقيقي حتى ان رئيس الدولة لم يكن له قدرة بأن يعين حارسا في محلة او جلوازا في بلدية وقبضوا بيدهم على زمام الجيش ومديرية الامن العام والجمرك ولم يكن أحد من الحكام الوطنيين يقدر ان يصرف قرشا واحدا دون امر المستشار :

من دويلات لها أعلامها	دون جيش من بنيها البسلاء
يدفع الغارات عنها انما	أكثروا فيها كراسي الوزراء
جعلوها شركا للشعب كي	يتفشى الدس بين الاتقياء
أخذوا الحكم وقالوا انكم	قُصَّرٌ في حاجة للاوصياء
فأداروه بشكل أعوج	ليس للاصلاح فيه من رجاء
نعموا بالمكس والامن وما	يُرتجى للروع ان حُمَّ القضاء
خنقوا نهضتنا في مهدها	واذاقوا العُرب أنواع البلاء

سفسطات وهراء

ومن الدوائر الحكومية التي استولوا عليها زيادة على غيرها وزارة المعارف وجعلوا يخرجون منها الموظفين الوطنيين ويعينون رجالهم بدلا عنهم وكانوا يقصدون افساد النشء في الدروس التي كانوا يضعونها وكانوا يعينون المعلمين الاخصائيين في غير دوائر اختصاصهم :

قيدوا النشء وبثوا سمّهم — في بنينا الانقياء الابرياء
حصروا التعليم في أذنابهم — وببعض العاجزين الضعفاء
كم وكم قد غيروا برنامجا — قصدوا في وضعه قتل الذكاء
ملؤوه بدروس كلها — سفسطات (وعلاك) وهراء
تجعل التلميذ عبدا خانعا — اتكاليا وقاحا ذا بذاء
فغدا الشبان أو أكثرهم — طمعا بالكسب من دون عناء
يؤثرون صنعة التوظيف كي — يبلغوا فيها وجاهات الثراء
اذ رأوا جل الألى قد وصلوا — للكراسي أصبحوا في الاغنياء

في فيه ماء

وعلى هذا تراهم قدّموا — من يماشيهم وصدّوا النجباء
والألى لم يخضعوا للذل من — نشئنا الاحرار أصحاب الاباء
تركوا التوظيف أما من له — اسرة معدودة في الفقراء
سار معهم مرغما وا أسفي — فغدوا مثل الذي في فيه ماء

ابعدوهم للهفاء

والذين حصّلوا بالفعل ما فيه نفع مثل علم الكيمياء
أهملوهم والألى صادفهم شبه حظ أبعدوهم (للهفاء)
عيّنوا المختص في تاريخنا مثلا استاذ درس الفيزياء
وبذا قد فتحوا بابا لكي يفسدوا الناشىء من أهل الذكاء
أفسدوا فيه فريقا طيبا لم يكن فيما مضى يدرى الخناء
وفساد الخلق في أقطارنا قد فشا في كل دار وفِناء
كل قوم فسدت أخلاقهم فعلى اوطانهم قولوا العفاء
فانحلال الخلق داء قاتل ماله بين البرايا من دواء
انما الجهل لشعب ناهض هو خير من فساد العلماء

المستشارون

بعد ان دخل الافرنسيون بلاد الشام جعلوا يقربون من يواليهم ويبعدون الوطنيين عن الوظائف ولما كان أهل الفضل يبتعدون عن المستعمرين جعل هؤلاء يقربون (العوانية) الاسافل الذين لايخشون الله في بلادهم فذكرت ذلك في الابيات التالية :

بلبلوا الشعب وخلوا جمعنا بددا نحيا ببؤس وشقاء
واشتروا بالمال بعض السفها وبنيل الجاه ساقوا البسطاء
نخبوهم من حثالات الورى ثم قالوا هؤلاء الوجهاء

هكـذا احتـلوا بلادا قـدمت | لهم فـي الحرب قربان الفـداء
وعلينـا انـتـدبـوا بعضهـم | سنـّة الكـون حيـال الضعفـاء
عينـوا الحكـام ممن سلمـوا | كـل شـيء لهـم دون حيـاء
فغــدا بـالاسم حكـام لنـا | ظـاهـرا والمستشـارون وراء

عباد الكراسي

قلنـا ان الوزير لم يكن له مـن الامر شيء ولكنه فرح باسـم الوزارة وراتبها وكـان رجال الاستعمار يهزؤون باكثر هـؤلاء الوزراء ويضحكون ويغمزون بعضهم باعينهم عندما يقولون لوزير من وزراء الحكومة (صون ايكسيلانس) ياصاحب المعالي وقد اشرت الى هذا بالابيات التالية :

ويـح عبـاد الـكراسي انهـم | سلـّمـوا اقـدارنـا للغربـاء
سجـدوا ذلا وباعـوا مجـدهم | وسواد الشعب عنهـم في عمـاء
حـُدُبـا تلقـاهـم اذ أكـثروا | بـين أيـدي الأجنبي الانحنـاء
وعلـى هـذا مشت حكامنـا | وادعـوا انـا بهـذا سعـداء
جعلونـا (كركوزا) في الـورى | ضحكت منـه الشعوب الأقوياء
مثلوا في الحكـم دورا مضحكا | يالـه دورا حريـا بـالهجـاء
فاجـادوا الـدور في تمثيلهـم | ويحهـم مثـل نجـوم السينماء
كـل مانالـوه مـن تقديرهـم | في ختام الفصل من حسن الجزاء
بسمـة ظاهرهـا عـين الرضـا | وبهـا أقصـى معـاني الازدراء

كلهم خصم

في الحرب الثانية كانت دعايات الدول تملأ الفضاء ، كل دولة تسعى بكل مالديها من قـوة للتاثير على الشعوب لاستجلابها الى صفوفها وكـانت كل دولة في اذاعتها اليومية تذيع الوعـود المنمقة لاستجلاب الشعوب ولا سيما العـرب والمسلمين منهم خـاصة فكانـوا يقرؤون القرآن في كـل يوم في الاذاعات مع ان الانكليز وبقية الدول حاربوا القرآن مئات من السنين وقد راينا في فلسطـين تمزيق القرآن من قبـل الجيوش الانكليزية وكم اهبنا بالدول الحرة لمساعدتنا اثناء ثوراتنا ضد الافرنسيين ولو بالادوات الطبية فلم يأبه احد منهم بنداء الانسانية واستغاثتها ومع هـذا كنا نرى بين الاهلين من يدعو الله ان ينصر الالمان ومنهم من كان يدعو لنصرة الانكليز ومنهم من كان يدعو لنصرة الافرنسيين وكل من يدعو لدولة يظن انها اذا دخلت البلاد تنقذنا من العذاب :

حسبنـا يـاقـوم ذلا وكفـى	لعبهـم فينـا فما نحن جـداء
مالنـا في الغرب خـل صـادق	كلهـم خصم على حـد سـواء
أين كانـوا قبـل داجي يومنـا	يُظهرون الـود في صدق الولاء
عندمـا اشتـدت بنـا محنتنـا	ودعـوناهم وخضنـا في الدماء
يـوم ثرنـا وطلبنـا حقنـا	بصفـاح البيض شـأن الشرفاء
أغلقـوا آذانهـم عـن صوتنـا	فمضت أصواتنـا ذرّ الهبـاء
لـم يسـاعـد أحـد آنئـذ	بضمـاد أو عـلاج أو دواء

يا للكـرام النبـلاء

مالهـم ذا اليـوم هبـوا وعلا	منهـم في آل قحطـان النـداء

أالى ذا اليوم حتى عرفوا ضيمنا باللكرام النبلاء
بالانسانية لم يقصدوا غير وجه الله فيها ذي العلاء
هل تناسوا عصر المختار أم هل نسوا أعمالهم في ليبياء
والألى عدوا تنادينا الى نصرة الأوطان بالأمس اعتداء
ألهبت نيرانهم أقطارنا وادعوا أنا عصاة أشقياء
رجعوا اليوم ونادوا باسمنا مظهرين الود مع صدق الولاء
بعد ما قالوه في آياتنا من أليم القول بهتا وافتراء
أصبحوا يتلونه في وقتنا في اذاعاتهمو صبح مساء
يا لهذا العطف ما أعجبه والدعايات التي تملا الفضاء

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى

قل لبعض الناس ممن حسبوا أن الاستقلال يعطى كالحباء
من أيادي الغير حتى طلبوا نصر قوم دون قوم بالدعاء
أمّلوا فيما سيأتي نصفة أ الى ذا الحد أنتم أغبياء
نحن ان لم ننتظر من ذاتنا نصرة كيف نُرجّي الغرباء
فعلينا أن نربي نشأنا بعلوم واختصاص وفداء
وليك الافرنج في أعمالهم عبرة الدهر لنحيا بهناء
فغبي جاهل لايستوي والأخِصّائي بعصر الكهرباء
أمة ذات عديد فائق مالها اليوم كيان أو وقاء
أمة فيها الرؤوس اختلفوا هي نهب لجميع الغرباء

أمـة قـطـرية مشغـولـة بـأمـور كلهـا (أكل هـواء)

أمـة أقطـارهـا مـا مثلهـا في الورى تربـا ومـاء وهـواء

أمـة بالوهـم تحيـا وهـي في حـاجة حتى الـى زر القبـاء

أمـة تسعـة أعشـار القرى مـن قراهـا ما بهـا بيت خلاء

أمـة العـلم فيهـا نـاقص وبنـوهـا فُتنـوا بالادّعـاء

أمـة أبنـاؤهـا لـم يعرفـوا ما بهـا من جوهر تحت العفـاء

أمـة شبـانهـا قـد فضّـلوا عيشـة الذل فعاشـوا أشقيـاء

أمـة خـوّانهـا في نعمـة وبنـوها الصيـد فيهـا تعسـاء

أمـة أحـرارهـا مـن أجلهـا في سبيل المجـد عاشوا بؤسـاء

أمـة ليست تجازي خـائنـا سامها الخسف وتحمـي من أساء

أمـة نـاهضـة ليـس لـهـا عـلم يخفـق في أوج العـلاء

عـلم مشتـرك ألـوانـه حملت رمـز الجـدود العظماء

ولهـا فـي كـل قطـر رايـة بل لهـا في بعضهـا الف لـواء

أمـة هـذي غـدت حـالتهـا ما لهـا غـير اتحـاد الرؤسـاء

فـاذا دامـوا عـلى سيرتهـم مـن عـداء وجدال وقـلاء[1]

بعـد ذي الحرب سنغدو كلنـا لذوي النصـر عبيـدا وامـاء

احتلـوا السمـاء

يا مـلوك العُرب يـا ساداتهـم يـا مجالي عـزهم يا رؤسـاء

(١) القلاء : البغض .

أيـام أنتـم فـي زمـن دول الارض بـه احتلوا السماء
كـم رأينـا أمـة فـي ساعـة ذهبت مـع تاجهـا أيدي سبـاء

كـونوا صرحـاء

أجمعـوا بالحـال يـا قادتنـا أمركـم وادعوا جميـع العقلاء
واعقـدوا مؤتمرا للبحـث في كـل ما صـرنا اليه مـن شقاء
وادرسوا درسا عميقـا وابحثوا فيـه أسبـاب الونى والارتخاء
واتركـوا فيـه أنـانيـاتكـم واخرجوا منـه بحـزم واخـاء
واجعـلوا انقـاذنـا من بؤسنا هـدف البحث وكونوا صرحـاء
وضعـوا بـرنامجـا متحـدا بينوا فيـه سبيـل الاهتـداء
واجعلوا مطلبكم مـن خصمكم واحـدا وامشـوا به للانتهـاء
لا تخـافـوا أجنبيـا أبـدا باتحـاد الرأي أنتـم أقـوياء
لاتقولوا نحن عـزل" وهمـو عندهـم أحـدث آلات الفنـاء
الحفـوا يـا قـوم في مطلبكم لا ينـال الحـق الا الحفـواء
وقفـة حـازمـة تنقـذنـا ان رأوا جـداً وحشوا بالمضاء

قـا طعوهـم

فـاذا مـا أنصفـونـا فبهـا واذا ظـلوا على هـذا الجفـاء
قاطعـوهم أبـدا لا تشتـروا منهـم شيئـا ولو شسع حـذاء
واعلموا الاضـراب في أيامنـا أنـه خيـر سـلاح الضعفـاء

هــذه الحرب التي قــد غسلت أرض أوربــا بسيل مــن دمــاء
غــاية الغــالــب فيهــا أنتمــو كلـهــم طــالب صيــد وغــذاء
حاربــوا كي يفتحــوا أسواقهم لشعــوب الارض أخــذا وعطاء
هــا أنا أخلصت في نصحي لكم ضل من ضيــع هــدي النصحاء

احــرى بالفنــاء

ان صبرنــا وانقضى الوقت ولم نقتنصهــا فرصــة تحيي الرجاء
وظللنــا هكــذا في عمــه مالنــا عــن أرضنا الا الجــلاء
فــاذا لــم يعنــكم مستقبــل لصغــار مــن بنيــكم أبريــاء
والى مــن لم يزل في صلبــكم فاتقــوا الله بــأرض الانبيــاء
واذا لــم تتقوا الله بهــا فلــكم في وطــن العرب العزاء
فهــو فــي نــزع أليم قــاتل فمــن اليــوم استعدوا للــرثاء
واخلعوا ثوب الرجــال واستروا وجهكم بل والبسوا ثوب النساء
أمــة فيــهــا رجــال مثلنــا طلقــوا النخــوة أحــرى بالفناء

مناخــل المــاء

كان شتاء ١٩٤٠ شديدا في عمــان فاحببت أن انزل الى أراضي غــور العدوان واقضي فيه فصــل الشتاء ودرجة الحرارة فيه لاتنزل في برودتها عن الخمس عشرة درجة فمانعني المرحوم ابو صياح حمدي الصفدي مع انه يعرف ان داري التي اسكنها في اعلى جبل عمان غير صالحة لسكنى الصيف فضلا عن الشتاء فقلت :

أبا صيــاح غادرنــا (الخريف) ... وأصبحنــا على بــاب الشتــاء
وعمـــان وأنــت بهــا عــريف ... لهــا برد أشــد مــن القضــاء
وجسمي ناحــل كــلٌ نحيــف ... على جــلدي أرق مــن الهبــاء
وداري كــل مــا فيهــا مخيف ... محطمــة النــوافــذ والكــواء
كدار (جحــا) عضائدها وقوف ... بــلا حيطــان أطــراف البنــاء
وأركــان مضعضعة ركــوع ... تهيــأ للسجــود مــن العيــاء
تقــوب سقوفهــا كالزمر دومــا ... تصفر عنــد تحريــك الهــواء
فان جــاد السحــاب ولو بطــل ... تقــول مناخل ملئــت بمــاء
وليــل الصحو من أثقاب سقفي ... أراعي النجــم في أفــق العلاء
وارض الغور في هــذا الشتــاء ... حكت بالحــر خط الاستــواء
وبعدي عن جميع الناس أضحى ... ضــروريا لاحظــى بالهنــاء
فكم عُذبت في زمنــي جهــارا ... وكم أُشقيت ســراً في الخفــاء
فدعني مــن مــلامك ان قلــبي ... تحطــم مــن مقارعــة البــلاء
فلا تعــذل طريــدا ذا شجــون ... كثــير الهــم منقطــع الرجــاء
وخــير من بقــائي في محيــط ... بــه الاحــرار تحسب في الاماء
وجودي في مكــان ليس فيــه ... ســوى الجارين من ذئب وشاء

عزاء للمروءة

صحوت من النوم واخذت جريدة الفيحاء العدد ٢١٩ واذ بعنوان كبير في صدر الجريدة يقول في ذمة الله مات الفارس الهمام نجيب الريس عزاء للمروءة والوفاء بعدك يا ابا رياض فطالعت المقال وتأثرت جدا على الصديق نجيب واخذت الشطر الاول من المقال وبنيت عليه هذه القصيدة مع اني لم ارث احداً في حياتي والقيتها في يوم الدفن على القبر .

عزاء للمروءة والوفاء ... عزاء للرجولة والاباء

ألا في ذمة الرحمن فرد ... بمفرده كجيش في المضاء

فان ذهب النجيب فسوف تبقى ... لنا ذكراه خالصة النقاء

نجيب شهادة لله مني ... بأنك كنت من أهل الوفاء

يراعك لم يُحطَم في الرزايا ... كغيرك يوم واقعة البلاء

وقفت النفس للاوطان حتى ... سموت بها الى أوج العلاء

وأدَّيت الأمانة غير وانٍ ... ولم ترهب مصاولة العداء

ولم تحفل بسجن أو بنفي ... ولا بالموت مرهوب اللقاء

وأنت اليوم تغفي مطمئنا ... قرير العين من بعد العناء

وقد شاهدت للاوطان عزا ... يرف على أمانيها الوضاء

فطب نفسا على وطن سيبقى ... ليوم الحشر مرفوع اللواء

« ما نحن عليــه الآن »

طلب مني الاستاذ المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي القاء كلمة بعد محاضرته عن قاسيون وكان القصد القاء المحاضرة في جبل قاسيون على طلاب الجامعة السورية ولكن الطقس تبدل فبدلوا محل الالقاء والقيت المحاضرة في المجمع العلمي وبعد انتهاء المحاضرة قدمني الى الطلاب والقيت هذه القصيدة وذلك في ليلة الجمعة في١٤ ايار ١٩٢٣ وحضرها الرؤساء صبحي بك بركات رئيس حكومة الاتحاد وحقي بك العظم رئيس دولة دمشق ونشرت في جريدة العمران في ٦ منه والظريف اني لما وصلت الى مقطع الرؤوس جعل الناس ينظرون الى الرئيسين بنظرات التهكم فكاد ان يغمى عليهما من الحياء واحتجا في اليوم الثاني على رئيس المجمع لسماحه لي بالقاء هذه القصيدة :

جعل الاله لكل شيء ميزة ... من غيره في الناس والأشياء

وبلادنا من غيرها قد ميزت ... بصلاح تربتها وعذب الماء

وبروضها وسمائها وبحارها ... وهوائها ولطافة الندماء

ونباهة الافراد في أعمالهم ... وتشتت الاهواء والآراء

وتعدد الاديان في سكانها ... ومذاهب جلت عن الاحصاء

وتحاسد المثرين لا لمقاصد ... تسمو بهم كمقاصد الشرفاء

وتزاحم وتنافس وعداوة ... من ذي الجمود لسائر الأدباء

أما البلية وهي أكبر ضربة ... دعوى الجهول مراتب العلماء

وجماعة في كل دور شأنها ... بث الفساد بلا أقل حياء

أبـدا تقلـب حـين أن نفاقهـا يبـدو لنـا كتقلـب الحربـاء

ونـوابـغ الشبـان وهـابيـة بل « فرمسون » بنظرة البسطاء

ومدارس الفتيـات كفـر بيّـن لتظـل بنت الشرق قيـد شقـاء

ومقـلد الافرنـج في حركاتهم متقـدم بتقـدم الأزيـاء

سل بعضهم ماذا يساوي عنـده خمس بخمس قـال عشـر نساء

ومصيبة الأهلين فيمن سافـروا للغرب للتحصيـل «والاخصاء»

يأتـون لا يدرون غـير سفاسف وتحيـة الاقـران بالايمـاء

«باردون أخي، ميرسي، دخيلك، كيس كسه ، أورايت ، هلو »
واللفظ كالببغاء

واذا تنـازل بعضهـم لخطابنـا بلسـانه فـرطـانة التـأتـاء

ومحاسن الافرنج لم يدروا بهـا وأتوا لنـا بالسـوأة الشنعـاء

تركوا اللباب وبالقشور تمسكوا حتى أسـاؤوا سمعـة النجبـاء

ومشوا بنـا شوطا بعيـدا انما للخلف كـانت خطـوة النبـلاء

أمـا الألى فازوا قليـل عـدّهم فتراهـم كالنجم في الظلمـاء

شبـان هـذا اليـوم انـا أمة كادت تمـوت لكثرة الاهـواء

وبلا جـدال لا حيـاة لقومنـا الا بعـلم البنـت والابنـاء

ويكـون أتبـاع المسيح وأحمد في عيشهـم كالمـاء والصهبـاء

يا قاسيون وأنت خـير جبالنـا فـاخر بفضلك قمـة الجـوزاء

أنت الذي نادمت عـدة أعصـر نخب الزمـان وصفـوة الشعراء

أنت الذي شاهدت ألف بناية — للعلم قد درست دروس عفاء
لاتبكِ شعبا قد تأخر مرغماً — من فيه نبض عدٌ في الأحياء
نهض الشباب وقد عرفنا داءنا — ودواءنا بتخصص الزعماء
وأنا اخالف في الرؤوس قضية — غلطت بها نظرية الحكماء
واذا تعطلت الرؤوس بقطرنا — فلنا الهنا بسلامة الاعضاء
ما كل جسم قد تعطّل رأسه — عدُوه في الدنيا من الأشلاء

(حكام وشعب)

قلت هذه القصيدة في الحرب العامة ١٩١٤ : والقيتها في نادي جمعية الائتلاف :

مدى الازمان حكام وشعب — كما عرف الورى ذئب وشاء
حكومات الزمان بغت علينا — وحكام البرية قد أساؤوا
لماذا أعلنوا حربا عوانا — وقالوا هكذا حكم القضاء
لقد خاضوا الحروب ولم يبالوا — بمن يقضي ولو عم الفناء
فكم ركب قضى في الحرب جوعا — وآخر فيه يقتله الظماء
وكم أم تنادي عن فؤاد — جريح نجلها ولها البقاء
تظن بأنه في الحرب حي — ومن زمن به وقع البلاء
وكم زوج مشى للحرب كرها — وزوجته ينهنهها البكاء
وكم من أسرة فقدت بنيها — وفي أفرادها دب الشقاء
اذا كان السلام لكم مراما — فما هذا التطاحن والعداء

وعدتم شعبكم بالسلم زورا فأين وعودكم ؟ أين الوفاء ؟
خدعتم كل سكان البرايا بسلم من معانيه الهناء
فصدقنا وصفقنا سرورا وقلنا سوف ينتشر الأخاء
ولكن السلام بدا كلاما وبان المين وارتفع الحياء
(ولاهي [1]) والعهود بها لهوتم فخاب الظن وانقطع الرجاء
وعمران البلاد غدا خرابا فيكفي منكم هذا الرياء
بعصر العلم بالتهديم قمتم فأين العلم أين الارتقاء
وأين الرفق بالانسان قولوا أجيبوني اذاً يا أدعياء
دخلنا في غمار الحرب قسرا وانا من جرائرها براء
اطاعتنا لكم في الحرب ليست سوى بله فنحن الأغبياء
فكفوا شركم عنا وذودوا أذاكم كي نعيش كما نشاء

---

(١) مدينة لاهاي .

كل حصاة في ممالكنا قلب

وقلت في حرب طرابلس الغر ب :

أرى السلم أضحى قسمة الغرب وحده　　كأن بلاد الشرق ليس لها صحب
يقول لنا التاريخ يا ويح أمكم　　ألا فانهضوا واصحوا فقد شبت الحرب
يهم رجال الغرب في سلب ملككم　　فان تحذروا خطبا فقد أقبل الخطب
بِدارِ بني عمي أروني سيوفكم　　فان رؤوس القوم قد شاقها العضب
فما اليوم الا يوم عز ورفعة　　كما ان رفع الشان تأتي به القُضب
ولا يطمع الاعداء في سلب ملكنا　　فكل حصاة في ممالكنا قلب

* * *

السيف اصدق انباء من الكتب

قلت هذه الابيات وانا في المنفى سنة ١٩٣٦ :

حسن السياسة محمود عواقبه　　والعنف في الناس يدعو الناس للشغب
والحكم بالسيف لايبقى الى أمد　　لاسيما في عهود العلم والأدب
والعُرب قد عرفوا حق الحياة فما　　من قوة ترجع المظلوم عن طلب
ان لم ننل حقنا بالسلم من دول　　ظلت مواعيدها بالختل والكذب
فليس غير الذي أوصاه شاعرنا :　　و«السيف أصدق أنباء من الكتب»

* * *

قرض الشعر

طلب مني المرحوم حليم دموس تقريظ كتابه المثاني والمثالث فقلت :

ليس قرض الشعر بيتا صب في   قالب الوزن خلت منه العيـوب

انمـا الشعـر الذي يطـربني   وفؤادي مـن معـانيـه يذوب

هـو وحـي كلمـا رددتـه   كالمثـاني هـز أوتـار القلوب

نيويورك ام حلب

في سنة ١٩٣٨ ارادت حكومة امريكا اقامة معرض دولي فدعت اليه جميع دول العالم ، ومنها حكومةسورية فيذلك الوقت. ولما كان الحكم بيد الافرنسيين وكانت الحكومة الوطنية المستقلة حديثا ليس بيدها من الامر شيء كتب الي المرحوم الدكتور فؤاد شطارة رئيس الجالية العربية في نيويورك يطلب مني باسم الجالية التوسط لدى الحكومة السورية للاشتراك فيهذا المعرض ليرفع السوريون رؤوسهم بحكومتهم المستقلة ووعدني بمساعدة الجالية لنا بكل مالديها من امكانيات فراجعت الحكومة فاعتذرت لعدم درسها القضية وعدم وجود الوقت الكافي لدراستها لقرب موعد افتتاح المعرض، فتطوعت بالذهاب الى نيويورك لدرس الحالة على نفقتي الخاصة، فاذا وجدت بامكان الحكومة الاشتراك بالمعرض بما يليق بشأن بلادنا اشتركت والا فلا . فسافرت ودرست الحالة وساعدتني الجالية عند ادارة المعرض فاخذت لها جناحا خاصا دون مقابل وطلبت الادارة خمسين الف دولار مقابل اشتراكنا بالمعرض تدفعه الحكومة كرمز لاشتراكنا ، وتبرع المهاجرون بثلاثين الف دولار وقالوا ان اشتراك الحكومة بالباقي هو كرمز لاشتراكها رسميا ورفعت العلم السوري بيدي بين أعلام الدول المشتركة ولا يخفى ان اقل دولة صرفت اكثر من مليوني دولار على جناحها فأبرقت الى الحكومة برقية مطولة افهمتها امكانياتنا وطلبت منها الموافقة على الاشتراك فطلبتني الى دمشق للمذاكرة فعدت الى دمشق ورايت مقاومة شديدة من الحكومة والكتلة ، وسأفصل هذه القصة في بحث خاص اصدره قريبا في مذكراتي ، فعدت واحضرت الوثائق التي تساعدني على اقناع المجلس النيابي بلزوم الاشتراك ولكن بكل اسف رايت معارضة شديدة خصوصا من الكتلة الوطنية التي كنت احد افرادها وذهبت الى حلب لاقناع تجارها بلزوم الاشتراك فوجدت منهم فتورا ظاهرا ولم يستقبلني احد من

اصدقائي مع ان استقبالي في نيويورك كان حافلا اذ اشترك ثلاثمائة سيارة تحمل اعضاء الجاليات السورية واللبنانية من نيويورك والولايات المتحدة الذين اموا نيويورك لاستقبالي بعكس حلب التي قام رجال الكتلة الوطنية فيها بمعاكستي وقام رجال الاحزاب المعارضة بمقاومتي ايضا في المظاهرات التي نظموها في مسجد حلب ، فعدت الى دمشق متألما ، وقلت :

مالي أرى الناس في الشهباء قد انقلبوا ... أفي (نيويورك) أنا أم هـذه حلب

في أرض (سام) وليست من مرابعنا ... قد زارني الف شخص كلهم عرب

وفي بلادي وبين الاهل احسبني ... كـأنني أجنبـي مـاله نشـب

من ذا أعاتب في قـومي وفتيتهم ... ممن بلوني وهل يجدي ترى العتب

أين الألى كانت الأعـداء ترهبهم ... أين الملبون منهم ان هم انتدبوا

أين الرفاق الألى في كل واقعـة ... الى هنانو ولي في أمسنا انتسبوا

أما دروا اننا ذا اليـوم في خطر ... وفـي تفرقنـا للأمـة العطب

(فالعن) أبا طارق في القبر من نكثوا ... عهد البلاد ومن في غيهم سربوا

ومن نسوا صالح الاوطان في زمن ... الذل فيه على السـكان ينسكب

وسامح الله اخوانا لنـا جهـلوا ... أن الزمـان برمش العـين ينقلب

والله يحفظ صحبي رغم جهلهـم ... وينقـذ العرب قومي أينما ذهبوا

(اذا غاب الاسد تولى الثعلب)

في عام ١٩١٦ انتقلت الفرقة ٢٧ العثمانية الى بئر السبع وبدلوا قائدها العقيد ابراهيم بك بالعميد عصمت بك الذي غدا أخيرا عصمت باشا الملقب باين اونو ، وكان اليد اليمنى لمصطفى كمال اتاتورك ، وكنت قائدا لمقر الفرقة المذكور وضابطا لاعاشتها وقائدا لنقلياتها . وبعد وصول عصمت بك ببضعة ايام امر بنقلي الى الجبهة رغم حسن ادارتي والسبب اني ابن عرب فقلت قصيدة ضاعت مني وبقي بفكري منها هذه الابيات :

يعاندني دهري كـأني عـدوه   وتنشب في صدري وعنقي مخالبه

يناصبني البغضاء مذ كنت يافعا   كـأن لـه دينـا علي يطالبـه

يعـز علي اليـوم أنـني لا أرى   لـدى من أضاعوني شريفا أعاتبه

يهون عليّ اليوم أني لـم أجـد   لدى رصفائي من يعي اذ أخاطبه

وكـل عزائي أنهـم ليس فيهمو   كريم اذا ما فاخروا عـز جانبـه

وأن أسود الغيل ان غاب حكمها   تولت شؤون الغاب عنها ثعالبـه

(عـير الـحي)

كانت سورية ولاية من ولايات الدولة العثمانية ولما اعلنت الحرب العامة الاولى سنة ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب ودخلنا معها لان العرب كانوا من رعايا تلك الدولة . وبعد ان حاربنا في صفوف الجيش العثماني حربا مميتة وكانت العقيدة الاسلامية تدفعنا في بدء الحرب في سبيل الدين ولكن بعد ان نشبت الثورة العربية وظهرت نوايا الاتراك نحو العرب بعد ان اعدم جمال باشا السفاح خيرة شبان العرب واستلم الجيش شبان الاتراك وكان الضباط في المدن يتلذذون بحياة المرح ويأخذون ارزاقنا من قرانا ويصرفون المال المحصل من بلادنا على سفاهتهم قلت :

أرى ان هذي الحرب لادرّ درها ... رمتنا بشر لا تطاق مصائبه

ولم أدر أسبابا لذا الشر كله ... فمن ذا الذي قمنا اليه نحاربه

وهل من عدو للعروبة غير من ... يسومهم خسفا فتصفو مشاربه

نموت لنحمي ملك من رام هلكنا ... له النصر في العقبى ومنا كتائبه

وكل شعوب الارض تسعى لمجدها ... وكل أخي حق فبالسيف خاطبه

ونحن كعير الحي نسعى لغيرنا ... نحارب بل نقضي لتقضى رغائبه

فكم اسرة في العُرب زالت من الورى ... وكم سيّد في العرب قد ذلّ جانبه

وكم من فتى في القفر أضحى مشردا ... سليب الكرى يرعى السهى ويراقبه

وشبانهم في داره قد ترنحت ... سكارى وليل الأنس تزهو كواكبه

وبينهم منا فتاة شريفة ... يداعبها هذا وهذا تداعبه

أضرّ بها جُهد الطوى فأذلها ... وراحت تبيع العرض مذ جاء طالبه

ونحن على الأبواب شبه عبيدهم فمن ذا ترى يرضى بما أنا كاتبه
وأكثرنا لا زاد عند عياله وأوسعنا بالعيش ضاقت مذاهبه
وأموالنا حِلٌ لهم يصرفونها على فسقهم والدهر هذى عجائبه
أليس لنا عرض ألسنا حماته ومن لي بأخذ الثأر بل أين صاحبه
ألا اننا يا قوم ذلت نفوسنا كثيرا وهذا بعض ما أنا حاسبه
فشعب غدت في الناس هذى فعاله أجيبوا بماذا غير هذا أخاطبه
فأين أباة الضيم من نسل يعرب وتعسا لهذا العيش بل بئس راغبه
وبئس الذي يرضى بخسف وذلة وخاب فتى باتت كلاما مطالبه
فان لم نقم للخصم نمحق جيشه ونطرده بالسيف والله غالبه
وان لم يكن هذا فموت معجل لترتاح نفسي فيه أو ما يقاربه
وان لم يكن موت اقول مرددا وقلبي من الاحزان تبكي جوانبه
«الا ليت لي وجدان قومي فارتضي حياتي ولا أشقى بما أنا طالبه»

احط من الكلاب

ارادت السلطة الافرنسية في دمشق في سنة ١٩٣٩ تغيير سياستها في سورية وارسلت مفوضا ساميا من كبار المستعمرين المدربين على حبك المؤامرات الدنيئة وهو المفوض السامي المسيو (بيو) وقد حاك سنة ١٩٤٠ مؤامرة ظن نفسه يتوفق فيها ويضرب عصفورين بحجر واحد وذلك انه رتب بواسطة اعوانه من ساقطي المروءة مؤامرة دفعوا فيها بعض الشبان السذج المتدينين فقتلوا الدكتور المرحوم عبد الرحمن الشهبندر واتهموا بقتله رجال الكتلة الوطنية والقوا القبض على اكثر من خمسين شابا من المنسوبين الى الكتلة الوطنية وزجوا بهم في سجن القلعة بدمشق وهرب كبار رجال الكتلة والتجؤوا الى بغداد والقاهرة خوفا من السجن وبهذا العمل رموا الفتنة بين الوطنيين بحيث جعل رجال حزب الشهبندر واقربائه وانسبائه يهاجمون الوطنيين من الكتلويين وانشق الشعب السوري الى قسمين احدهما شعبي اي من رجال الشهبندر والآخر وطني من انصار الكتلة الوطنية واختبأ وراء الشعبيين جميع الرجعيين والجواسيس وانصار الافرنسيين وجعل جميع هؤلاء يهاجمون الوطنيين متخذين قضية المرحوم الشهبندر كقضية قميص عثمان ، ومضت مدة طويلة كان اذا مر احد انصار الكتلة امام انصار الشهبندر يكون عرضة للتعدي والانتقام وازدادت الحالة بشكل لم يعد يطاق واستفاد الافرنسيون من هذا الانشقاق وتمكنوا من القبض على زمام البلاد وكادوا يخنقون صوت الشعب المسكين وكنت في تلك الاثناء في شرقي الاردن لاجئا كما ذكرت في غير هذا الموضع ، وكنت اسمع كل يوم حوادث تمر في دمشق لايقبلها حر ، وليس في البلاد من يرفع صوتا فقلت :

علام الشام ذلت واستكانت ... الى الافرنج بعد الانقلاب
وأين الصارخون بكل ويل ... على الاوطان خوف الانتداب
أما كانت بها الأحزاب تبكي ... بكاء الشامتين على المصاب
وكانوا أمس من حنق وبغض ... على بعض أشر من الذئاب

أيا من عارضوا قولوا أكنتم
على حق بهذا الاضطراب

لقد مزقتموا وطنا شقيا
وأسلمتم بنيه الى العذاب

حفرتم حفرة لبني أبيكم
فغصتم في الحفيرة للرقاب

فلم تدعوا أخا يمشي بعزم
ولا أنتم مشيتم للغلاب

فكنتم بالذي جلبت يداكم
على الأوطان أشأم من غراب

كقاتل والديه يروم ارثا
أضاع الارث من بعد العقاب

وفي هذا التطاحن قد تبدى
لنا شره الرجال بلا حجاب

قد استهوتتموا صعب المراقي
ومن ظمأ خدعتم بالسراب

ويوم الجد أمسيتم هباء
وصرتم دون ذرات التراب

علينا هجتموا كليوث غاب
وها أنتم جحرتم كالزَّباب(١)

تخاذلكم أتى شؤما علينا
وأودى بالغطارفة الصلاب

وأصبح كل صوت من زعيم
لدى أخصامنا طن الذباب

فأين محبة الاوطان قولوا
وأين صراخكم يا للمصاب

ملأتم صحفكم زورا وغيا
بمختلف الشتائم والسباب

وقد بدلتم الاحسان سوءا
وما نُؤتموا غير التباب

جعلتم من حبيبات الخطايا
كأعظم ما يكون من القباب

وجرأتم على الاحرار ناسا
لئاما يفتكون بحد ناب

وأفسدتم بما أرجفتموه
من الاخبار أخلاق الشباب

أنحن خصومكم حتى سكتم
أم الاخصام أهل الانتداب

سكتم اذ خسرتم كل شيء
وعادوا بالمغانم والسلاب

فلو كنتم رجالا ما تركتم
غريب الدار يحتل الروابي

ولكني أقول ولا أبالي
بأنكم أحط من الكلاب

وليس العُرب أهلا للمعالي
اذا تركوا الجناة بلا عقاب

---

(١) الزباب كسحاب : فأر عظيم أصم .

هاشا باشـــا

كان الامير عبد الله بن الحسين في ايام حكمه في شرقي الاردن يقلد السلطان عبد الحميد باعطاء الرتب والألقاب كما انه كان يقلده في أيام الأعياد وكان جميع الحكام ووجوه البلاد يذهبون على اختلاف اصنافهم ومراتبهم ايام الاسبوع لزيارته ، وايام الاعياد يذهبون باللباس الرسمي يحملون الأوسمة للتبريك وقد زاد عدد البشاوات في ايامه على مائة وخمسين باشا هذا غير البكوات الذين لا حصر لهم وقد ذهبت الى قصر رغدان وهو القصر الاميري في يوم عيد فرايت الناس تتراكض للتبريك ولفت نظري شيخ كبير يركض كالاولاد الفرحين بلباس العيد يزهو بأوسمته الكثيرة وينتقل من حلقة الى حلقة يعايدهم ، فسألت من هذا قالوا هاشا باشا : وقصة هاشا باشا مشهورة في عمان وهي ان احدى الجرائد كتبت خبر زيارة احد رجالات العرب لسمو الأمير عبدالله في عمان فاستقبله الأمير هاشاً باشاً وقرأ الوزير المشار اليه الخبر وظن ان الضيف الزائر اسمه هاشا باشا فخابر ديوان الامير بالتلفون سائلا عن هاشا باشا وأين نزل وكيف يزور الامير ولا يخبر الوزراء بذلك فلم يفهموا عليه ما يريد واخبروه انهم لم يسمعوا ابدا بهاشا باشا ، قال بلى ان جريدة الجزيرة كتبت الخبر اليوم فراجعوها ولما رجعوا الى الخبر ضحكوا وافهموه القضية وانه لم يفهم الخبر على حقيقته فخجل من هذا الامر وسموه هاشا باشا ولم يزل الى اليوم شيوخ الاردن يتندرون بهذه القصة المضحكة ، فقلت :

رأيت شيخا برغدان به مرح	يكاد يرقص من عجب ومن طرب
مثل الوليد بثوب العيد مبتهجا	في صدره نصف قنطار من (القصب)
أتى يبارك بالعيد السعيد واذ	بالناس يومون بالوسطى بلا لعب
وكان قربي صديق رحت أسأله	من ذا الذي جاء قال: اسكت بلا شغب

فقلت ويحك اني لست أعرفه ... أجب سؤالي فهل في ذاك من عتب
فقال هذا فلان شيخ أسرته ... ذو مركز لايبارى اليوم في الحسب
ومجده طارف بالغصب أحرزه ... نال المناصب رغم الانف والشنب
قد كان في الأصل مختارا بقريته ... فجابيا ثم رأسا دون ما سبب
أضحى وزيرا بلا جهد ولا تعب ... وصار باشا فهل في ذاك من عجب
هذا العصاميُ لايحتاج ترجمة ... قضى الحياة بلا علم ولا أدب
تحصيله من تجاريب الحياة فلا ... يقيم وزنا لما قد جاء في الكتب
يطالع الصحف لايدري مناقبها ... ويظهر الفهم (بالتركي)و(بالعربي)
عن(هاشا باشا)أقام الأرض من(زعل) ... و(ضجَّج)الناس في الديوان من صخب
سل عنه دائرة الاشغال تنبىء عن ... أحواله فهو في عسّان كالنصب
ما مر يوما بعمال ودائرة ... الا ورقّص من يلقاهموا « دبي »
وان سألتهموا لِمْ لا يراجعه ... من بينهم أحد ان شط في الطلب
قالوا وقد ضحكوا مما تسائلهم ... دعنا بحقك منه انه « عصبي »
وعنده كل أمر جائز واذا ... أعطاك وعدا فلا يخشى من الكذب
تراه عنترة الفرسان منتفخا ... ان جاءه طالب من أي ما طلب
وان رأت عينه (برنيطة) طلعت ... من فرسخ خرَّ اجلالا على الركب
فهل عرفت من الباشا فقلت له ... كفى كفى انه صنّاجة العرب

الدهــر دولاب

جاءني احمد القعقاع اللاذقي يوما في عام ١٩٤١ يشكو دهره لقلة العمل وكنت لاجئا الى عمان اسكن شونة العدوان فاستعنت به على قضاء حوائجي وطبخ طعامي وسكنا في غرفة واحدة قسمناها بستارة الى قسمين قسم لي والثاني للمطبخ وله وكان ابن عمتي ووكيلي على املاكي السيد حكمت شيخ الارض يرسل لي راتبا شهريا قدره خمسة عشر دينارا وتاخر راتبي في شهر العيد لأن الجيش الانكليزي اغلق الحدود بين سورية والأردن فاضطررت لاقتراض جنيه فلسطيني من أحد باعة الشونة لاصرفه في العيد ، ودخلت ذات مرة في العيد الى المطبخ فوجدت احمد القعقاع الطباخ يشتم الدهر وهو يرقع قميصي بقطعة من جرابي فقلت :

يا أحمد القعقــاع مهـلا لاتكن	برمـا ولا تجـزع على الأسباب
فالدهـــر دولاب ورزقك قسمة	والصبر يفتح مغلـق الأبــواب
ان جــاء عيــد فاستدنا (ليرة)	ورقعت سروالي ببعض جــرابي
كم مرَّ عيــد والدراهم في يدي	(كالكشك) تأتيني بغير حساب
فاصبر فربــك لا يضيّع أجرنــا	والرزق كالآجــال رهــن كتاب
وحياتنــا بالفقــر وهــي بليــة	تطـوى على جوع ودون ثيــاب
خــير لنا مــن أن نعيش بــذلة	نحني الرؤوس لطغمــة الاغراب
واذا الحواضر والقصور تَبَتْ بنا	فلنـا الهنـا بمضارب الاعراب

لغـة العيـون

لغة العيـون تفوق كل لـُغـات توحي عـن الأغراض بالنظرات
من غـير ما كـلم ولا همسـات بين الأنـام تـدار باللحظـات

* * *

لغـة العيـون عواطف وشجون حركاتهـن حـواجب وجفـون
والهـدب بين العاشقـين أمـين يروي الغـرام بفاتـن اللفتـات

* * *

والقصـد من نظر المخاطب يفهم واللحظ ينبىء بالضمير ويُعْلِمُ
عني خذوا درس الهوى وتعلموا ما في عيون الناس من حركـات

معـاني العيـون

بعض المعاني في العيون عويصة والبعض ظاهرة بهـا منصوصة
ولكل معنى نظرة مخصوصـة فيهـا الذي يُغنيك عن صفحات

العين (الطراقـة)

وهنـاك عـين قل أعـوذ بربنا طعناتها في الجسم أفتك من قنـا
ان مر صاحبها فتضطرب الدنـا وترى الجميـع يعـوذ بالآيات

* * *

خوف الاصابة بعضهم قد يتفل ويعوذ بالرحمن ثم يبسمل
كي لايحل به البلاء المنزل بمصيبة من هذه النظرات

خبر التواتر

خبر التواتر في الانام مصدق وقليلهم فيما يقال يحقق
بوذا اله" قومه" قد صدّقوا بوجوده في الارض والسموات

* * *

فأنا الذي لم أعترف بوجوده ربا فكيف أدير عقل جنوده
فدعوا الجهول بجهله وجموده حتى يعم العلم كل جهات

* * *

مع أنني في ذا أشك وأنكر تلك الأصابة غير أني أعذر
من صدقوها فالوقائع تذكرُ في كل عصر في حديث ثقاة

* * *

أما عن التأثير خبرٌ ما تشا وعن السهام فلا تسل غير الحشا
كم بالمراض السود ويحك من رشا(١) سخرت مع الجاني من التبعات

* * *

كم ضاع حق ظاهر في لفتة من عين أحور أو فتاة غضة
كم حاكم باع الضمير بغمزة والويل للقاضي من الغمزات !

* * *

والفرق بالتأثير في الالحاظ كالفرق بالتعبير في الألفاظ
ما كل ناظم فلتة بعكاظ ان قال شعرا جاء بالآيات

---

(١) الرّشا : مفردها رشوة .

على نهج خطتي

رشحت نفسي لنيابة المجلس النيابي عن قصبة دوما سنة ١٩٤٧ فعاكستني الحكومة الوطنية ورغم ذلك نجحت فقلت :

لكل امرىء شغل عن الناس شاغل ... وشغلي بقومي والبلاد وأمتي

ثلاثين عاما بالجهاد دفنتها ... ولم أقض منها عشرها بين اخوتي

وأكثر أيامي بهم طويتها ... ونفي وتشريد وسجن وغربة

وكل الذي لاقيته من نوائب ... فلم يثن من عزمي ولم يوه همتي

ولست ألوم الأجنبي ولو أتى ... بكل ضروب العسف في أي بلدة

فذاك له حق به نفع قومه ... وما الحق الا رهن عزم وقوة

ولم تك من جور الزمان شكايتي ... ولكنما من جهل قومي بليتي

واني على ما فات لست بنادم ... وان عقني في الدهر صحبي ورفقتي

ولو بلغت سني الثمانين انني ... سأدفع عن قومي بقدر عزيمتي

وان خانني جسمي لضعف يصيبني ... سأبذل جهدي حسب حالي وقدرتي

فهذي المبادي عن جدودي ورثتها ... وسوف تماشيني ليوم منيتي

فهل لشباب العرب عزم فينهجوا ... اذا انطبقت عيني على نهج خطتي؟

وصف حياتي في الطفولة

قبـلات الام

ما الزهر يبسم في الربيـع مداعبا ... ريح الصبا في أطيب النفحـات

ما البدر يسري في السماء مفاخرا ... أهـل الجمال وفاتن الغـادات

ما العندليب شدا بأحسن صوته ... فوق الغصـون مردد النغمـات

ما المَلْك فوق العرش في ايوانه ... ينهي ويـأمر في أجـل صفـات

أبهى وأبدع من صغير عنـده ... أمٌ تميـل عليـه بالـقبـلات

الصغير انـا

هـذا الصغير أنا كبرت وليتني ... ما زلت ذاك الطفـل طول حياتي

كـي لا أرى أهـل الزمان فانني ... لـم ألق منهـم غـير كل اذاة

فاليـكم مني حـكاية صـادق ... تنبيـكم بالضبط عـن حـالتي

فأنا الشقي من البداية في الورى ... وأنا التعيس بسائـر الاوقـات

وبـلا مغـالاة سأسـرد قصتي ... بتمامهـا فـي هـذه الابيـات

قبـل الترعرع

لما بـدأت الفهم قبـل ترعرعي ... وأفـرّق العمـات عن خـالاتي

وجعلت أركض في الدويرة لاهيا ... بالقـط (والخاروف والجاجات)

هـذا ولما كـان ليس لـوالدي ... غيري بطرت كأكثـر (البكوات)

والدل زاد (تدلعـي وشطارتي)   ومهـارتي باللعـب والقفـزات
وجعلت أخرج بعد ذا من دارنـا   للركض (كالمغضوب) في الحارات

* * *

ابـن خمس سنـوات

حتى اذا ما صار عمـري خمسة   أو ستـة أكثرت مـن حـركاتي
وبدأت أسأل كل مـن صادفتـه   عما أرى في الكـون من حالات
وجعلت أعبث بالرياش وغـيرها   وبكل ما في الدار مـن أدوات
من ثم أمي أصبحت مـع حبهـا   منـي تمـلُّ بأكثـر الاوقـات
ولذا قضت أمي بقاسي حكمهـا   سجني لكي ترتـاح من (برداتي)

في دار (الخجـا)

وجعلت أذهب كـل يوم حـاملا   (زوادتي) في السل مـع خبزاتي
لزريبـة شبـه المغـار ببردهـا   دار (الخجا)في أسفل (القنوات)
تمسي وتصبح في الرطوبة دائما   شبهالضفادعوسط زرب(خجاتي)
لبس الحذاء محـرم في دارهـا   مثـل الدمـا وتناول الميتـات
ودعواالغسيل وشطفأرض ديارها   وكنيفها مـع سـائر الخدمـات

الـخجـا

أما (الخجا) فكبـيرة وكسيحـة   و(كهينة) شـرٌ مـن الآفـات
وجـه قبيـح ما رأيت نظـيره   بين العجـائز في جميـع حياتي

وكـأن ابليسا أقـام بجسمهـا — أو انهـا فـرخ مـن السعـلاة
والخَلق مثل الخُلق في تشويهه — والروح مثل الجسم في العِلاّت
فتصوروا حـال الصغير بقربهـا — من ذا يسلّمْ ابنه (لخجـاة) ؟!

آلات العــذاب

أما العــذاب فعندها من جنسه — الأنواع من ضرب ومن فلقـات
كم من عصا قد خبّأت بجوارها — من أجلنا في الطـول مختلفـات
دع عنك ربط الحبـل مع تعذيبنا — لأقـل ما نـأتي مـن الغلطـات
ربطت لسان منير ربـع نهـاره — ومنير أصغـر اسـرة الدالاتي
اذ كـان يعجز ان يُفرّق دائمـا — باللفظ بـين الـزاي والذالات

والقصة هي

كان المرحوم منير الدالاتي في صغره لايفرق بين الزاي والذال فربطت لسانه بخيط رفيع من خيوط القنب ويسمى بالشام (خيط مصيص) فورم اللسان وضبّ على الخيط ولم يعد احد يعرف كيف يفك هذا الخيط حتى كاد ان يتلف الغلام وصدف ان الجراح علي افندي الساطي كان واقفا امام داره وداره في القنوات قريبة من دار الخجا سمع بالحادثة فركض وبعد جهد جهيد قطع الخيط وانقذ الغلام وكان والد منير بلغه الحادث فحضر الى دار الخجا واخذ ابنه وبنته بعد ان اعطى الخجا (نفوس) درسا قاسيا من السباب والشتائم واني الى الآن كلما ذكرت هذه الحادثة وفكرت فيها لا اقدر ان اصِفَ ما يصيبني من التاثر :

الختمــة

ودرست عـاما عندهـا بتمامـه — حتى ختمـت وكرّرت ختمـاتي
ولقـد قرأت بغـير فهـم عندها — كقراءة (الببغـا) على العِـلاّت

لكـن أقـر بفضلهـا وبـأنني — أصبحت أقـرأ أصعب الآيـات
هذا وأسأل ربنـا مـن فضلـه — يسقي ضريح(خجاتي)بالرحمات
ويثيبهـا الرحمـن عنـي جنـة — لكن يعاقبهـا عـن الهفوات ..

الختمة : معروفة في دمشق الى اليوم يقام لها احتفال في دار الطفل الذي يختم القرآن او في الكتّاب او في دار الخجا وذلك انهم يضعون مصحفاً شريفاً امام الطفل فيقرا الفاتحة ثم بعض آيات البقرة ولما يصل الغلام الى آية (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم غشاوة) يخطفون لباس راسه ويسلمونه الى والده فيعطيهم الجائزة ، فتأمل كيف كـان المسلمون يختمون تعليمهم واعرف لماذا طمس الله على قلوبنا واصابنا ما اصابنا من الشقاء طوال هذه المدة من الاعوام .. والسنين التي مرت علينا فكان الناس يتقدمون ونحـن نتأخر واحمد الله انا بدأنا نسير في ركب الحضارة ، وارجو ان يكون احتفالنا بنهاية التحصيل بختمة هذه الآية : انا فتحنا لك فتحا مبينا .

الكتّـاب

ونقلت للكتّـاب وهو زريبـة — أيضا شبيه زرائب (الخَجوات)
لكنـه بالطبـع أرقى (تنفـة) — منهـا على ما فيـه مـن علات
ولكل تلميـذ بـه (صندوقة) — لمتـاعه والكتـب والورقـات
ولبعضهم (طرّاحـة) لجلوسه — والبعض جلد من جـلود الشاة
والشيخ فوق التخت يجلس دائما — ليرى جميـع مصادر الحركـات

الشيـخ

والشيخ غـرّ لاتحيط عـلومه ... ابـدا بغـير قـراءة الـكلمات
طول وعرض جبـة وعمامـة ... وتمـام هذا الخلط بالسبحـات
فتراه يدني ذا الجمـال لقربـه ... دومـا ويقصي صاحب العاهات
يحنـو على ابن الغني مشاركـا ... ايـاه فيما طـاب مـن أكـلات
أمـّا الشنيـع اذا تحقق فقـره ... فـلديه مغضوب مدى الأوقات

الـدرس

كـلّ الدروس كما يعن ببـاله ... «عكـّاشة»(١) ودلائل الخـيرات
هـذا وليس لـديه من برنـامج ... للدرس أو عـدد مـن الساعات
ان شاء بعـد الظهر يقفـل بابه ... ويسرّح الصبيـان في الحارات
أو شاء يبقى للغـروب مـداوما ... في درسه تبعـا الى الشهـوات
وتراه يـوم السبت مسرورا لما ... يـأتي به الاولاد مـن خـيرات

الخدم

ولكل شيـخ خمسة أو ستـة ... من أكبر الصبيـان للخدمـات
هـذا لفرك الرجـل أو تكبيسه ... وسواه يشـري أكثـر الحاجات
وكذاك آخر قـد تخصص ساقيا ... كيما يدير الشاي (بالكاسات)
ولـداره ولـد يخصص دائمـا ... للجـلي والتعـزيل والحطبـات

---

(١) دعاء عكاشة : والعوام في الشام تشدد الكاف .

ولخدمة الاولاد أيضا واحد ولجمع ما يبقى من الخبزات

من بعد خمس أو أقل (بنتفة) تمضي على الاولاد في السنوات

ينهون في كتّابهم تحصيلهم وبظنهم أضحوا شيوخ الآتي

من بينهم من أسسوا لشيوخهم كتاب صبيان ببعض جهات

حتى الى ذا اليوم منهم لم يزل شيخ يعلم فتية الحارات

هذى من التاريخ أحلى صورة صورت فيها مستهل حياتي

نحن في الأموات

كنا في بغداد نسمر ليلا على ضفة دجلة في اوتيل (زيا) وكنا جماعة مؤلفة من خيار رجال العرب منهم مستشار المعارف صادق بك جوهر المصري ومعروف الرصافي وغيرهما من افاضل العراق ومصر فجرى بحث الدعايات الاجنبية ودور الاذاعة والطرق التي يتخذونها اليوم لبث دعاياتهم وكيف اجمع العالم الغربي على فتح باب لقراءة القرآن الكريم الذي كانوا يحاربونه وما زالوا بكل وسيلة من وسائلهم وكيف صاروا يسمحون بتلاوته في الاذاعات وبعدان انصرف الجماعة انسحبت الى فراشي وانا افكر بهذه القضية وتعصى النوم علي فخطر لي الموضوع فقلت متاثرا :

ما للعداة تغيرت عاداتهم حتى ظننا القوم غير عداة

كانوا على القرآن صفا واحدا يصلونه حربا بكل قناة

ما لي أراهم في الاذاعة أصبحوا يتلونه دوما بكل جهات

لغز عويص حرت في تفسيره وشغلت فيه الفكر في خلواتي

حتى حللت كما أظن رموزه وعساي فيه موفق النظرات

قرآننا قد كان يتلى دائما فيما مضى للعلم والبركات
يُتلى على الاحياء حتى يعملوا بنصوصه وأوامر الآيات
وعلى القبور لكي يخفف ربنا عن أهلها الآلام بالرحمات
بالامس هذا كان شأن جدودنا فغدوا بهذا من ذوي القوءات
لكننا لما تبدل جدنا هزلاً وصار القوم غير ثقاة
وتفرق الحكام أيَّ تفرق وتشتت الاسلام أيَّ شتات
سمحوا بأن يُتلى على أرواحنا اذ نحن معدودون في الاموات

النيابة في عهد الدكتاتورية

في ١٤ آب سنة ١٩٥٤ حمي وطيس انتخاب النواب للمجلس النيابي السوري وكان عهد الشيشكلي في أوج مجده وكانت الاحوال غير مستقرة فقلت : ونشرت في جريدة الايام بذلك التاريخ .

دخول الانتخاب كما أراه بهذا اليوم مجهول النتاج
لهذا لا يليق بأي حرٍّ له ماض كبدر في الدياجي
بأن يرضى الدخول بأي دور به الحكام تمشي باعوجاج
وان ينجح باجماع سيبقى بهاتيك النيابة كالدجاج(١)
ولا يمضي له قول مطاع ولا رأي بتنظيم الخراج
لهذا فليقاطع كل حر دخول الانتخاب للاحتجاج
على عهدٍ كراسي الحكم فيه من الفوضى دواما بارتجاج
فما من فائز الا سيبقى شبيه فراشة حول السراج

(١) اي النائب يبقى كالدجاجة التي لاتحكم على بيضها .

اخشى على سلاحي

بعد وصولي الى عمان ببرهة وجيزة سرق اللصوص سلاحا من داري كان اودعه عندي السيد عبد الرحمن الحلبي وقد ظهر الاثر وعرف اللصوص انهم اذا لم يرجعوا السلاح فانه سينالهم القصاص فارجعوا السلاح المسروق وكان بندقية وثلاث مسدسات الا مسدسي الصغير فانهم باعوه الى احد ابناء الخليل ولم يعد بالامكان ارجاعه وبعد مدة سرق من داري مسدس مع عباءة وثوب حرير . فقلت :

لو اني اليوم في بلدي مقيم — لما سرق اللصوص بها سلاحي
ولكني بعمان شريد — وأخشى أن يُغار على سُلاحي

ميثاقي الاقتصادي

ربي براني للكفاح — والجهر بالقول الصراح
ما خفت سطوة ظالم — مهما تنمّر واستباح
بالحق أجهر عندما — يطغى على الناس الطلاح
ما قلت قولا مرسلا — الا لخير أو صلاح
وعملت دون تبجح — بالفعل في كل النواح
في الاقتصاد مواقفي — مشهورة في ذى البطاح

ووضعت ميثاقي[1] وقد طبّقته في كل ناح

وعملت لاستقلالنا بالعلم أو حمل السلاح

حتى تحقق بعض ما أرجوه من نيل النجاح

وعلى الشباب شبابنا اتمام أسباب الفلاح

لئيم

وقلت في موظف لئيم :

ان اللئيم اذا تولى منصبا يجزي مليح صديقه بقبيحه

جرّب لئيما مرة بقضية وانظر تنحنحه لدى تصريحه

مثل الكنيف يثور ان حركته في عصفةٍ يؤذي الانام بريحه

---

(١) وميثاقي الذي وضعته سنة ١٩٢٣ هو :

اعاهد الله والشرف على ان لاصرف قرشا في حاجة صادرة عن بلاد اجنبية مادام منها في وطني العربي الكبير واني اعزز اقتصاديات بلادي واعمل لترويجها وتصريفها بكل مالدي من قوة ، والوطن شاهدي والله حسبي ونعم الوكيل .

كم دعوت الى الكفاح

في ايلول عام ١٩٥٦ اقام شبان النادي الشرقي تمثيلية يتخللها رقص شعبي على مسرح معرض دمشق الدولي خطبت فيها خطبة مختصرة دعوت فيها الى احياء الرقص العربي القديم المعروف بالسماح الذي رقصته الفتيات في تلك الحفلة وفي اليوم الثاني قامت قيامة احدى الجرائد وهاجمتني مهاجمة قوية لدعايتي الى رقص السماح فقلت وكانت فرق الرقص ترد على دمشق من كل صوب في هذا العام والذي قبله :

أتـاني مخبر عن قـول لاحٍ ... أتى بصحيفة في ذا الصبـاح
يهـاجمني المحـرر في مقالٍ ... أليم جـاء عن رقص السماح
كأن الكاتب المغـرور أضحى ... بهذا القـول من أهل الصلاح
ليظهرني بقـومي في ضـلال ... ويدعـوهم الى سبـل الفلاح
ولـم يدر المغفل أن قـومي ... بلوني في الغـدو وفي الرواح
وهم أدرى بأفعـالي وقـولي ... ومـن منـا أحـق بالامتداح
ومن ذا قام من خمسين عـاما ... يجـاهـد بالمقـال وبالسلاح
فماذا قـد جنيت بحـق ربي ... ليمعن بعض قومي في جراحي

* * *

نرى دول الزمان بكل قطـر ... مشت بنهوضها في كل نـاح
وذي فرق أتت من كل صوب ... ترينـا الرقص في أوج النجاح
وعنـدهم كمـا كنا عرفنـا ... سواها قـد أعـدت للنفـاح
واني اليـوم ان أدعو لرقص ... فاني كـم دعوت الى الكفاح
ومن كانت مكانتـه الثريـا ... فـلا يؤذيـه ترداد النبـاح

تحكم القرود في الاسود

وقعت ازمة وزارية في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٦ وطالت وكثرت الاستشارات ولم ادع للبحث في الموضوع وجعلوا يستشيرون صبيان السياسة وجواسيس الاجانب من الموظفين الذين بقوا من عهد الافرنسيين

فقلت :

أيؤخذ رأي الكل في أي أزمة ... وزارية في الشام في أي ما عهد
واترك دون الناس حتى كأنني ... أعيش بأرض القطب في عزلة وحدي
وكنت بيوم الروع أيام بؤسهم ... أقاوم أهل الظلم سعيا الى المجد
وكم ذدت عن قومي وأهلي وموطني ... بقولي وفعلي باللسان وبالزند
أخاف على الاوطان من نسمة الصبا ... اذا شابها والله شيء من البرد
ايدعى جهول ثم يترك جانبا ... أخو الرأي كالمنبوذ في أمة الهند
ويؤخذ رأي الخائنين الالى مشوا ... مع الخصم أيام الشدائد عن قصد
ويسأل صبيان السياسة والالى ... أقاموا اعماد الملك يُقْصَوْنَ في البعد
الا بئس هذا العيش في ظل دولة ... سباع الفلا فيها تذل الى القرد

فؤاد الفؤاد

لما كنت ملتجئا الى عمان كان صديقي الشيخ فؤاد الخطيب يزورني كل يوم بعد خروجه من الديوان الاميري وكان آنذاك مديرا للتشريفات . والزيارة كانت اما في الندوة واما في داري وقد ذهب الى دمشق مأذونا وغاب مدة وعاد وذلك في شهر اغسطس ١٩٤٠ وبلغتني عودته فسألت بالتلفون عنه فاجابوني انه ذهب الى الديوان فارسلت اليه هذه الابيات التي لم يكد يتناولها حتى اسرع الى الندوة وكانت الندوة التي اسستها في عمان تجمع خيرة ادباء الاردن آنذاك :

هل يصح الجسم من غير فؤاد ... فعلى الرحب وأهلا بالفؤاد

أصبحت ندوتنا خالية ... بعدكم فهي جماد في جماد

حلقة الآداب في غيبتكم ... سوقها ياشيخ أضحت في كساد

كم ذكرنا اثر الشعر الذي ... هزّ من سحرك أعطاف البلاد

شوقنا كالنار في شدته ... وحديث الشيخ للشوق ابتراد

أنا والاشواق تدعوك معي ... يا أخا العلم ويا صنو السداد

فالى الندوة حالا يا أخي ... ياضياء العين يا روح الفؤاد

الله موجود

طلبت من احد اصدقائي مساعدتي بخمسين دينارا لتأمين مابقي علي من تأسيس الندوة وهو المطعم الذي اسسته في عمان سنة ١٩٤٠ فراوغ وامتنع وكانت لي عليه ايادٍ قديمة فقلت :

لاترتجِ العمر من خلٍ مساعدة — فالعمر والرزق للانسان محدود

ولا تعلّق طوال العمر من أمل — على صديق فما في الناس محمود

ولا تغرّ بوعد في حياتك من — خل وان كثرت منه المواعيد

فالناس في عصرنا أضحوا سواسية — ضاع الوفا منهمو والخير مفقود

والجودمات وأما العرف فانطمست — آثاره اليوم لا عرف ولا جود

فاعمل بجد ولا تطلب الى أحد — معونة أبدا فالله موجود

مستجير يجير

جاءني سليمان بن عبد الله المقداد من بصرى الحرير الى عمان بلا جواز فكتبت هذه الأبيات وارسلتها للأمير عبد الله فأمر بالسماح له بالبقاء في عمان في حين ان اوامر الانكليز كانت شديدة باخراج الذين يدخلون بلا جواز نظرا لان الانكليز في حالة حرب وشرقي الاردن تحت الانتداب الانكليزي وذلك عام ١٩٤٠ م .

اني أجرت دخيلا جاءني غسقا — وحلَّ عنديَ ضيفا واهي الجلد

فرَّ الفتى أمس من حوران ملتجئا — الى رحابك كي ينجو من النكد

وذنبه مثل ذنبي انه رجل — يخشى الاجانب من شباننا الجددِ

من آل مقداد من بصرى الشآم أتى وما له غير عبد الله من سند
أجرته باسكم مولاي عن طمع بحلمكم حيث ان الشخص من ولدي
فهل سمعت بحق الله سيدنا بمستجير يجير الناس في بلد

فأصدر امره وسمح للمذكور بالبقاء في عمان وبقي ضيفي مدة طويلة قضيناها بالسرور .

يلعب بالنهى

في اواخر عام ١٩١٧ وقعت اسيرا بيد الانكليز في موقعة بئر السبع ، وتطوعت في الجيش العربي فأطلقوا سراحي وأرسلوني الى العقبة ولما كنت في القاهرة في طريقي الى العقبة زرت الشيخ فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية في مكتبه في القاهرة فقدم لي ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٣٢٨هـ فتصفحته ووصلت الى بيت هزني جاء في قصيدة يخاطب بها حسين جاهد بك صاحب جريدة «اقدام» التركية .

وان أردت بقوم فتنة عمما لا ترهف السيف لكن ارهف القلما

فأخذت القلم وكتبت ما يأتي :

هذا هو الشعر الذي يذكي الحماسة في البلاد
والشعر يلعب بالنهى ان كان مصدره الفؤاد

وبينما نحن في حديث هذين البيتين دخل شاعر النيل حافظ ابراهيم فقدمني الشيخ فؤاد اليه واراه البيتين وتصادقنا منذ تلك الساعة وبقينا أصدقاء الى ان توفاه الله .

راعي البريد

تاخر علي بريد بيروت واخذت عددا من جريدة الحياة بعد مرور بضعة ايام من صدوره حيثاخذت العدد المؤرخ في ١٩٥١/٦/٥في١٩٥١/٦/١٠ اي بعد خمسة ايام من صدوره وعدد جريدة الصباح اذا وصل في المساء يفقد مزيته فقلت وارسلتها الى مدير البرق والبريد العام السيدجلال زريق :

جلال الدين يا راعي البريد ... وعمدة عصبة الرأي السديد
انحن بعصر رادار وراد ... ترى أم نحن في عصر الرشيد
لنأخذ صحف لبنان عليها ... مضى الاسبوع من قبل الورود
على ظهر السلاحف قد أتتنا ... أم العربات جاءت بالطرود
ومن بيرت صاح الى دمشق ... مسافة ساعة بعد الحدود
وصحف الصبح ان وصلت مساء ... أضاعت ميزة الخبر المفيد
فمر حالاً بتفتيش وبحث ... عن الاسباب في عزم أكيد
وعاقب من تسبب دون عطف ... وخذ بالحزم والرأي السديد
لتصلح شأن دائرة عليها ... صلاح الحال في العهد الجديد

انهض بالعروبة

قلت وقد انشدتها لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود يوم زيارتنا له في روضة التنهات في نجد عام ١٩٤٤ لافتا نظره لاعادة الخط الحديدي الحجازي :

أيا عبد العزيز فدتك نفسي ... تفضل واستمع مني قصيدي

من الشام العزيزة حيث أسعى ... الى مغنى علاك بذا القصيد

فكم ميل قطعنا بالصحاري ... « وبالدهنا » وفي رمل «النفود»

وكم سيارة فيها طوينا ... فيافي بعد حَزن بعد بيد

وكم من بلدة فيها مررنا ... كلمح البرق في قطر الحديد

وفي وطن العروبة كم قطعنا ... دويلات ملفقة الحدود

الى أن وفق المولى وصرنا ... بدوحة صاحب الظل المديد

نزلنا في حماك فما وجدنا ... سوى الالطاف تمنح للوفود

وبتنا في حماك فما رأينا ... سوى الانعام من كرم وجود

سبحنا في الخيال وقد رجعنا ... بما نلقى الى دنيا الجدود

وأرجو الله أن تحيا سعيدا ... طويل العمر أكثر من لبيد

لتنهض بالعروبة من عثار ... به كادت تزول من الوجود

بعزم ثابت يبني اتحادا ... متينا للعروبة من جديد

فتجمع شملنا برا وبحرا ... وترجعنا الى عهد الوليد

وتسبق كل ما صنعوا بأمر ... تعيد لنا به الخط الحديدي

فلا زالت بك الايام تزهو ... وملكك دام في عز مجيد

ذو الوجهين

بعد رجوعي من عمان التزمت داري ولم اخرج الى الأسواق خوفا من الحالة التي كانت تسيطر على البلاد ايام خروج (الفيشيين ودخول الديكوليين) الى دمشق وكانت دمشق في ذلك التاريخ لم تزل تحت الانتداب الافرنسي:

سئمت من الدنيا فطلقت أهلها ... ثلاثا وهل مثلي يلام على الزهد

زهدت بكل الناس حتى برفقتي ... الذين قضوا في صحبتي العمر في رغد

ولما رماني الدهر ، والدهر قلّب ... فررت الى عمان خوف الأذى المُردي

قضيت بها عامين وحدي مشتتا ... سلا فيهما صحبي ولم يذكروا عهدي

فلم يسألوا عني ولا عن صداقتي ... ولي ألف خل في العراق وفي نجد

وعشت فريدا مبعدا عن أحبتي ... وهل في الورى شيء أمر من البعد

فعدت وعاد الناس من كل جانب ... خصوصا صحابي يخلصون صفا الود

فلا كان هذا الود بعد الذي جرى ... وصحبة ذي الوجهين ماذا ترى تجدي

واني سأبقى ما حييت بوحدتي ... أعيش سعيدا سالما مفردا وحدي

انظروا للحق لا للزبد

ناظم الرحبي شاب في اول عمره تعين موظفا في مصلحة الانتاج الزراعي في احدى القرى التابعة لقضاء دوما أخرج من وظيفته لأنه رافق فتاة في الطريق العام ومع انه ليس في سيرهما اي غضاضة فقد (هاش) ناموس اهل القرية حسب العادات المتبعة ودفعهم ذلك الى تقديم مضبطة بحقه كانت نتيجتها طرده من الوظيفة وقطع رزقه لأنه مشى مع سيدة سافرة في الطريق بدلا من نقله الى قرية اخرى. طردوه من الوظيفة ارضاء لأصحاب المضبطة فراجعت مدير مالية دمشق صديقي السيد عوني السقطي بخصوصه فوعدني بارجاعه وتذكيرا له بوعده ارسلت له القصيدة التالية :

ان لم تكن أنت عوني يا ابن مدرستي ... من ذا يكون اذاً عوني بذا البلد

« فناظم الرحبي » طارت وظيفته ... بغير ما سبب للّوم والفند

لا باق مالا ولا ضر الخزينة ، لا ... ولا استغل نفوذ الرفقة الجدد

ولا تناول يوما رشوة أبدا ... ولا تناول فلسا من يدي أحد

لا سل بيض ولا رطلين من لبن ... أو مد (كشك) ولا رطلاً من (الزبد)

لكنما ذنبه قد كان وا أسفي ... روح الشباب التي تدعو الى السفد

فهل ترى أحدا في عز نشأته ... منا تسامى عن العادات يا ولدي

لاتقطع الرزق بالرحمن يا رجلاً ... عن أسرة مالها الاّك من سند

ومر بارجاعه نقلا الى عمل ... يكسبك خير ثواب الواحد الاحد

وشكر اسرته مع شكر مرسلها ... وانظر بعين النهى للحق لا الزبد

وبناء على توسطي بهذه القصيدة أعاده الى الوظيفة وابعده عن القرية التي طغى اهلها.

سَلِمَ الرشيد

في شباط عام ١٩٣٣ اصاب صديقي رشيد بك نخلة داء السكر ووجع في رجله قضي عليها بالبتر فبتروها في مستشفى ربيز والله انقذه فقلت هذه القصيدة وارسلتها الى ولده امين بك :

قل للأمين بن الرشيد	اياك والحزن الشديد
جَلَداً عرفتك والخطو	ب يُذلها الرجل الجليد
أنا لا ألومك ان عراك	الشجو والخطب العنيد
جزع الوحيد على أبيـ	ـه يحبه الولد الوحيد(١)
قلبي تقطر لوعة	مع أن قلبي من حديد
ان خانني قلبي فكيـ	ـف بقلب ذياك الوليد
أمَّا وقد وقع القضا ،	فاصبر فروعك لا يفيد
حقُّ الأبوة صنته	وبررت والمولى شهيد
وعملت أحسن ما يكو	ن عليك من عمل مجيد
لم تبق أي زيادة	فيما أتيت لمستزيد
لاكان عضوٌ فاسد	في بتره سلم الرشيد

---

(١) امين نخلة وحيد والديه ، وانا كذلك وحيد الوالدين .

ويـل للبـلاد

كان المجلس النيابي سنة ١٩٤٨ قد رفض التصديق على المعهد الموسيقي فاستقلت من النيابة بعد الغاء الاعتماد وسكر المعهد ابوابه واودعت مفروشاته في المدارس وتبدلت الوزارة مرات ولم اتمكن من اقناع احد وزراء المعارف الذين اتوا بعد ذلك لتقديم مشروع باعادة المعهد حتى كدت ان أيأس فقلت بعد ان راجعت وزير المعارف ميشيل عفلق ولم يساعدني :

اذا الجهـلاء من نواب قومي — عصوا قولي وما فهموا مرادي

بانشا معهـد للفن يُحيـي — تراث جدودنـا بـين العبـاد

عذرتهمو على مضض مـرير — هداهـم ربنـا سبل الرشاد

ولكن أي عـذر ليت شعري — لأهل العـلم أربـاب السداد

اذا ظـلوا كغيرهمو حيـارى — وما عمـلوا لاصلاح الفساد

فويل للـوزارة مـع ذويهـا — وويـل للمعـارف والبـلاد

الرسـم خـير هديـة

يقولـون ان الرسم خير هـدية — يقدمها الأصحاب في القرب والبعد

فقلت نعم ان كان في الوجه نضرة — ويكره ان كان المصوَّرُ كالقرد

أسرع يا رشدي بالوعد

وعدني رشدي بك الكيخيا لما كان رئيسا للمجلس النيابي بمساعدتي، بفتح المعهد الموسيقي وقرب انتهاء دورة المجلس فارسلت اليه هذه الابيات راجيا الاسراع في العمل :

أتسم لي وعدك يا رشدي	ولك الشكران مع الحمد
وأظن اني في الأمس	أفهمت (جنابكم) قصدي
والقصد استعجال الامر	بالعلن الظاهر لا السر
فعلى ربي حسن الاجر	وعليكم اتمام الوعد
كي نفتح معهدنا حالا	ونريح بفضلكم البالا
ونسيرّ فيه الامثالا	ونسير به نحو المجد
والمجلس دورته كادت	تمضي والفوضى قد سادت
في الدنيا لكن ان زادت	حركات الصين أو الهند
فتؤثر في الوضع الحاضر	واذا الامر عكس الخاطر
فنعود جديدا (يا شاطر)	للأخذ بذلك والرد
وسوى هذا ما من سبب	يدعو للسرعة في الطلب
فأنلني غاية مطلبي	لأشيد بذكرك يارشدي

غـور الكبـد

في ١٩١٩ دعا الأمير محمد الفاعور الأمير فيصل بن الحسين الى داره في قرية واسط وكنت بمعيته بوظيفة ضابط الأمر وهي وظيفة خاصة في الحرب يبلغ صاحبها اوامر القائد العام الشفاهية الى القواد ورؤساء الجيش وبينما كنا نتحدث خارج الصالون الجالس فيه الامير مع بعض الرفاق اتى الطبيب احمد قدري وقال هل بلغكم خبر اراضي غور الكبد قلنا لا ، قال ان رئيس الديوان قدم يوم الجمعة الى الأمير بين الاوراق المستعجلة اوراق وقف ابي عبيدة الجراح وهذا الوقف يشمل اراضي غور الكبد المعروف اليوم وهي ارض تقرب مساحتها من مائة الف دونم اقام بعض الفلاحين الدعوى على شركة الفها احد ابناء الفندور في بيروت مع بعض الحكام في دمشق ، وكانت شرقي الاردن محافظة تابعة لحكومة سورية والدعوى ان شركة الفندور استأجرت جميع غور الكبد ومساحته مائة الف دونم من احفاد ابي عبيدة بمبلغ ثلاثمائة مد حنطة وخمسمائة مد شعير في العام الى مدة تسع وتسعين سنة فاقام بعض ابناء عم البائعين دعوى في المحكمة الشرعية البدائية ففسخت المحكمة الايجار فجددته الشركة بزيادة الايجار فجعلته خمسمائة مد حنطة والف مد شعير فاستأنف المدعون ففسخت المحكمة الاستئنافية الحكم فجددت الشركة الاستئجار وزادت الايجار فجعلته سبعمائة وخمسين مد حنطة والفي مد شعير في العام فميز المدعون وفسخت محكمة التمييز الحكم فجعلت الشركة المبلغ الف مد حنطة وثلاثة آلاف مد شعير في العام وعلى هذا صدقت الأوقاف هذا الايجار وصدقت جميع دوائر الحكومة ذات الاختصاص على هذا العقد وادخل رئيس ديوان البلاط المعاملة للتصديق مع الأوراق المستعجلة يوم الجمعة والأمير متهيء للذهاب الى جامع بني امية لقضاء صلاة الجمعة في المسجد الأموي فوقع الاوراق التي قدمت له ووقع على معاملة الفندور دون ان يقراها ، وعلى هذا البناء تم العقد ولم يعد احد يقدر على فسخه ، وكان الشركاء الذين ضمتهم هذه الشركة كثيرين ، وبعد ان انهى الطبيب احمد قدري هذه الحادثة قلت له ان لهذا الوقف قصة غريبة وهي ان ارض غور الكبد كانت مطلوبة للاستعمار لجعلها مستعمرة للصهيونيين ايام السلطان عبد الحميد فوقف في وجه اليهود المرحوم

شكري بك العسلي وكان قائمقاما ولم يترك للصهيونيين يدأ لاستعمارها رغم الضغط الذي كان يأتي من الاستانة ومن الولاية ثم اراد الصهيونيون اخذ ارض الفور المذكور للاستثمار فوقف قائمقام تركي جاء الي القضاء المذكور بعد شكري بك العسلي بوجه الصهيونيين ولم يمكنهم من استثمار الارض المذكورة وهذه المرة جاءت شركة أخبث من اليهود وهي شركة الفندور المذكورة واخذت الفور بطريق الاستئجار وهذا الاستئجار جاء عن طريق الاستحمار فضحكنا وركض الطبيب الى الأمير فيصل وما كاد يغيب حتى أتاني عبد من عبيد الأمير يقول (هيّا كلِّم سيدنا) فذهبت مسرعا واذا بالأمير واقف مع الطبيب احمد قدري ورئيس الديوان يضحكون من النكتة فوصلت وبعد اداء التحية العسكرية قال الأمير اخبرني عن قصة اراضي الفور قلت اي قصة قال التي حدثت الطبيب احمد قدري عنها قلت ياسيدي سامحني اننا نمزح قال بحياتي عليك الا اخبرتني : قلت : ان قصة هذا الوقف ان الوكالة اليهودية كانت تطلب استعمارا فلما لم تتوفق ارادوا اخذها استئجارا ولما لم تتوفق ايضا جاءت شركةالفندور فأخذتها استئجارا ولكن هذا الاستئجار جاء عن طريق الاستحمار فضحك الأمير والتفت الى رئيس الديوان وقبض على لحيته وقال اي والله استحمروا هذه اللحية ونظرت الى رئيس الديوان فرايت وجهه كاد ان ينفطر من صعود الدم اليه ثم التفت الأمير الي وقال « بحياتي عليك » انظم قصيدة اذكر فيها حكاية غور الكبد واهج بها الشركة ورئيس الديوان :

فأطعت الأمر ونظمت القصيدة الآتية وما كدنا نصل الى دمشق حتى انتهى نظم القصيدة ولما نزلنا من السيارات قال لي الأمير اين القصيدة قلت هاهي قد انتهت قال بيضها حالا : وكنا في الساعة الخامسة من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان الموافق ١٩١٩م فبيضت القصيدة وما كدت أتممها حتى طلبني الأمير فدخلت الى الصالونواذا به غاص بكبار رجال الدولة والحاشية والى جانبه الأمير زيد بن الحسين والأمير علي بن ناصر واللواء ياسين الهاشمي وغيرهم من رجال القصر فقال اين القصيدة ، قلت هذه فقال اقرا فقراتها وضحكوا .

وامر ان يكتب منها نسخ عديدة وتوزع على دوائر الحكومة ففعلوا وكانت حديث دمشق طيلة أيام شهر رمضان واصدر ارادة مطاعة (١)بفسخ معاملة الايجار والقصيدة هي :

---

(١) كان السلطان عبد الحميد يصدر امرأ يسمونه « الارادة السنية » فقلده اشراف مكة وسموا اوامرهم ارادة مطاعة .

لاتسلني اليوم عن غور الكبد　　انـه أحـرق قلبي والكبـدْ
هي أرض لست أدري سرهـا　　حادثات الدهر فيهـا تستجدْ
كلمـا ندفـع عـن حوزتها　　مستبداً قـام فيهـا مستبـد
وغـدا الجراح فـي مرقـده　　غضبـا ممـا أتـوه يرتعـد
كتب الله عـلى أطـرافهـا　　خفف الوطء قليـلا واتئـد
هي كالاجـرب مـن يقربهـا　　غـير نقع السُم فيهـا لم يجد
آل صهيـون أرادوا سلبهـا　　في زمـان الترك لكن لم يفد
وأتى مـن بعدهم أمثـالهـم　　كلهـم يطلب صيدا ان يجـد
(شركة الغندور) جاءت خلفها　　رجل أخبث مـن ذئب حَرِدْ
راح يسعى جاهـدا في سلبها　　من بني الجراح في ذا يجتهـد
ان يكن كبش الليالي ويحـه　　رام منهـا لقمـة أن يـزدرد
وجرى مـن خلفـه أقرانـه　　كلهم يأخـذ نهبـا ما يجـد
فالى من نشتكي اطمـاعهـم　　وعلى من بعـد هـذا نعتمد
لو درى الجراح يـوم وقفـه　　طمع الحكام في غـور الكبد
لم يقـف أرضا على أحفـاده　　واختصى يومئذ كي لا يـلد

دير معلولا

ذهبنا الى معلولا في ١٩٣٨/٤/١٨ لتوزيع الاعانات على منكوبي السيول فيها ووصلنا ليلا متاخرين وذهبنا الى الدير عند الأب كيرلس رئيس دير معلولا المزمن صديقي وصديق والدي وكان البرد شديدا لا يحتمل والدير مغلقا فطرقنا الباب حتى كل متننا وعوى كلب الدير عواء شديدا وبعد نصف ساعة تقريبا سمعوا طرق الباب ففتحوا وكنت نظمت الابيات الآتية ونحن على الباب ولما دخلنا واسترحنا في صالون الدير كتبت الابيات في دفتر زيارات الدير وهي :

يا صاحب الدير ان الصحب قد بردوا ... أمام بابك والحراس قد رقدوا

فانهض بحقك وانقذنا على عجل ... حيث الفرائص والاجساد ترتعد

فالكلب (جرصنا) والريح أزعجنا ... والصحب من برد معلولا كأنهم جمدوا

والليل أوحشنا والجوع أتلفنا ... يا ويحه بلداً ما مثله بلد

والوعي فارقنا والوحل (عترنا) ... حتى يئسنا وضل الهدى والرشد

ومن لنا غير « كيرلسٌ » يخلّصنا ... فغير « كيرلسٍ » لا يرتجى أحد

وهذا القس اليوناني كان الطف من عرفتهم من الرهبان في حياتي وهو سخي اليد كريم النفس بشوش الوجه لم أره في حياتي الا ضاحكا وقد قضينا عنده سهرة لطيفة وبتنا ليلتنا في الدير وفي اليوم الثاني ودعته بعد ان قدمنا للدير هدية لطيفة ثمينة .

عظم الله أجركم

بعد استلام الكتلة الوطنية الحكم من الافرنسيين لم يساعدها الزمن على السرعة بالاصلاح فاضطرت الى غض النظر عن أعوان الانتداب بل جعلت تستعين بهم واهملت شأن الوطنيين الذين قاوموا الافرنسيين وهذا من اكبر اخطاء الكتلة وهو الذي اوصل البلاد الى ما وصلت اليه من سوء الادارة يومذاك ، وقد قدمت لسعد الله الجابري رئيس الكتلة الوطنية واخوانه البارزين فيها عدة تقارير لاصلاح الكتلة والانتباه لما يقع من الاخطاء واصلاحها فلم ينتبه احد الى ما كنت اكتبه وسانشر تلك التقارير في مذكراتي ليرجع اليها من شاء وذلك في ٥ كانون الاول سنة ١٩٣٧ وقد قلت :

علام النوم والايام تمضي ... وبيت الشعب مضطرب العماد

علام النوم والاحوال فوضى ... وسيف الدس يفتك في العباد

علام النوم والاخصام أضحت ... جميع جهودها بث الفساد

علام النوم والتدجيل يسري ... مسير الكهرباء بكل ناد

أنادي الصحب من قلب كليم ... أحذرهم ولكن من أنادي

لقد ناديت حتى بحّ صوتي ... وحتى قيل يا ويح المنادي

أ ايقاظاً أنادي أم رقودا ... أم الاموات أم حجر الجماد

أسعد الله ان تبقوا سكارى ... بخمر الوهم غالكم الاعادي

وضاع الامر من يدكم وعدنا ... كما كنا بعهد الاضطهاد

ومن والوكموا بالامس ليسوا ... لكم شرا من القعْد الحراد

وليس الخير فيمن قد أقاموا على ذل بأيام الطراد
فهبوا واحزموا وامضوا سريعا بعزم صادق نحو الرشاد
وولوا الأمر من عرفوا وكانوا بيوم النقع أرباب الجلاد
والا رحمة المولى علينا وعَظّم أجركم في ذي البلاد

لاتكن عون الزمان

عاد خليل معتوق من باريس وانا منزو في قرية الجربا لاسباب اضطرارية وارسلت له هذه القصيدة ولما اخذ الكتاب جاء وجاء معهالاخوان رضا شربجي وابراهيم نصري واديب الصفدي وغيرهم من الشلة وقضينا يوما لطيفا في الجربا :

كم كنت أرغب أن أزورك بعدما ان عدت من باريز يا (فرفور)
لكنّ عذرا عاقني فتفضلوا انتم الينا والكريم يزور
مادمتَ معتوقا لامرك مالكا وأنا طليقٌ للظروف أسير
جار الزمان على أخيك فلا تكن عون الزمان تجور حيث يجور
هيا الى الجربا لنقضي برهة فيها لنا رغم الهموم سرور
واصحب من الاخوان من كانت له روح أخف من النسيم تطير
ولديّ أنواع اللحوم كثيرة ضأن ، دجاج ، ماعز ، وطيور
والسمن واللبن المروّب عندنا صاف وليس له لديك نظير

والعــود والقانون عندي حاضر   (والكيلخان[1]) هنا وعندي(نور[2])

من ثم شادٍ شادنٌ في صــوته   وبفنــه في قطرنــا مشهــور

واحمل خمورك حيث خمرك جيد   والنقل عنــدي يا خليــل كثــير

وبذاك يصبح عندنــا ما نشتهي   المأكول والمشـروب والمنظــور

هجم الربيــع بجيشه وجنــوده   احتلت روابي المــرج وهي زهور

ما خاب قوم في الربيع تشاركوا   في نزهــة فيها الكؤوس تــدور

مــا فــاز باللــذات الاجاســر   اما الألى كرهوا الطلى فحسير

رايت طفلاً جميلاً يمشط شعره فقلت :

نظــرت اليه وهو يمشط شعره   بمشط كهدب العين أسنانه صغرى

ومن طول ما أمعنت فيه نواظري   تراخت وعادت من سوالفه حسرى

وعهدي كانت في عيوني شجاعة   ولكن جمال الشعر قد ردها قسرا

---

(١) الكيلخان : لقب عازف الناي تحسين بك اليوقلجي .

(٢) نور : قينة من اشهر قيان دمشق واجملها في زمنها .

لا أبغـي الطـلاق

وقلت وقد ارسلت بهذه الابيات الى مجلة العروس بعد أن جاءني كتاب من ادارة المجلة مع عدد منها .

حضرة الفاضل أعزك الله :

نرسل اليك هذا العدد حتى اذا تكرمت أن نعدك مشتركا ومن جملة مناصرينا الادباء معززي الصحافة النسائية واصلنا ارسال الاعداد الباقية شاكرين وهو أول عدد من العام الجديد ، اما اذا لم ترغب ذلك فبرده نعلم رغبتك ولك الشكر على كل حال وحفظك الله :

ادارة مجلة العروس

واليك الابيات وقد نشرت في احد اعداد السنة الثانية من العروس :

وصلت عروسكم تجر ذيولها ... تيها على الغادات في الامصار

فهي الفريدة ان طلبت محاسنا ... وبتيهها تاهت أولو الافكار

ملكت برقتها القلوب وحسنها ... بالشمس قد أزرى وبالاقمار

وهي الغنية ان طمعت (بدوطة) ... جمعت صحائفها عقود دراري

اني عشقت عروسكم وقبلتها ... ورغبت فيها أن تكون بداري

والمهر مهما كان أدفعه ولا ... أبغي الطلاق ولو خسرت عقاري

فليفتخر أهل الشآم جميعهم ... بعروسكم ولتحيَ دوما (ماري[1])

---

(١) هي ماري العجمي ، صاحبة مجلة (العروس) .

الـدهر لايـدري

صبرت على الاحداث حتى تحيرت ... عقول ذوي الالباب والله من صبري

ولست أذم الدهر فالدهر دائماً ... من الازل الماضي بلا وقفة يجري

صبـاح وإمساء ، نهار وليـلة ... سنين وأيـام تمـر بلا حصـر

ولكن أبنـاء الزمـان لجهلهم ... يذمون هذا الدهر والدهر لايدري

وكان عليهم أن يذمـوا نفوسهم ... اليهم ومنهم ما نراه مـن الشـر

لاخلـود لحـي

اهداني زكي قنصل كتاب مراثي ابنته عنـوانه (سعاد) ، رثى فيـه وحيدته بقصائد عديدة واصدر الكتاب بمناسبة مرور عام على وفاة طفلته التي قضت في الشهر الثامن مـن عمرها ولم يلتئم جرحه في هذا العـام وظهر مقـدار تاثره وحـزنه ولوعته من هذا المصاب في جميـع قصائـده فكتبت لـه هذا الجواب :

عـزاء ولـو أن العـزاء بعيـد ... وصبرا ولو أن المصاب شـديد

وحزن الفتى مهما تعـاظم وقعـه ... له عند أربـاب العقول حـدود

اذا صعدت روح الوليدة للسمـا ... فما ينبغي للرب منـك جحـود

فلو ان بالامكان ارجاع زهـرة ... طوتهـا العوادي والبكاء يفيـد

فأكثر من الاشعار والحزن والبكا ... لعـل سعـاداً يا زكيُّ تعـود

والا فخفف من شجونك واتئـد ... فليس لحيٍّ في الزمـان خـلود

كــوخ الندامى

دعاني مصطفى وهبي التل يوما الى كــوخ اسموه كوخ الندامى وهــو معروف في عمان لدى طبقة معينة من اصدقاء مصطفى وجميعهم مــن الطبقة المتوسطة المعروفة (بالزكرت) وهذا الكوخ عبارة عن عقد من حجر يسكنه ابو كاسم الجوبراني من اهل دمشق شبه مغارة مقطوع بحائط مــن خشب عن الدكان وفي الداخل تختية عليها حصير قديم ولما دخلت كان هنالك صاحب الدكان ابــو كاسم الجوبراني ومغن اسمــه داود وبعض الرجال وجلسنا هناك الى ما بعد منتصف الليل يطربنا ابو كاسم بطنبوره ومصطفى وهبه بأشعاره وقد خرجت من الكوخ وانا بسرور زائد وكانت العادة في ان كل من حضر من الزوار يأتي بمشروبه في زجاجة وهناك كأس واحدة فيبدأ الحضور بالشرب وكلما فرغت زجاجة يشربون الثانية الى ان ينتهي الجماعة من جميع ماأحضروه ، فقلت :

أطل علينــا الصبح من كوة الفجر ... ونحن بوادي (السير) مع مغرب البدر

نشاوى بحيث الراح راحت بعقلنا ... فصرنا ندير القــول هرفا بلا فكر

قضينا سواد الليل والشرب نخبة ... كرام من الشعب البسيط ذوي الفقر

بكوخ هو الباقي بعمــان وحده ... بنــاء قديم سار في صحبة الدهر

على نغم الطنبــور نطرب آنــة ... ويطربنا داود من غــير ما زمــر

ظللت مع الندمان في خير عشرة ... ورغم ظلام الكوخ منشرح الصدر

يدير علينا الكأس والكأس واحد ... ابو (كاسم) والراح في الكأس كالتبر

ينير شعاع الكأس أرجاء كوخنا ... انــارة آمــال المبشــر باليســر

ومن مصطفى وهبي خلعنا عذارنا ... بما أنشد (المفزور) من طيب الشعر

ومازلت والاصحاب نحسو ونتتشي ... الى ان سمعنا خارجا سجعة القمري

خرجت كما الفرزان أمشي تهاديا ... بمنعرج الوادي الى حيث لا أدري

فيا سهرة الوادي أهل لك عودة ... فما كنت أنسى ذكر انسك في عمري

اذا افتخر (المثري) بروعة قصره ... بكوخ الندامى اليوم يامصطفى (فخري)

منكر ونكير

كان الامير عبد الله بن الحسين سنة ١٩٣٩ ايام التجأت الى عمان بعد مافررت من الافرنسيين وقد توج فيما بعد ملكا على الاردن طلب مني ان ازوره يوميا في المقر وان اتناول الطعام معه دائما فاعتذرت وكرر وكررت الاعتذار واصر ، فقبلت ان ازوره مرة في كل اسبوع وقد عاتبني بعض الاصدقاء لعدم اجابة الأمير بالزيارة يوميا فقلت :

قالوا الامير يحب انك دائما … تسعى اليه وانت عنه نفور
فأجبتهم اني فتنت بشخصه … وبيانه وأنا لديه أسير
وأحب أن أبقى الحياة بقربه … وأجله والقرب منه سرور
لكنه صعب المراس وخلقه … مع لطفه عند الهياج عسير
ولذاك أخشى غضبة مضرية … تهتاج كامن غيظه فيثور
ويكون غيري باعثا لهياجها … فيصيب رأسي رشها فيطير
قالوا رويدك انه في قومنا … بالحلم والخلق النبيل شهير
فأجبتهم اني عرفت خصاله … والقول فيها ما أطلت قصير
ورحابه نعم الرحاب وانما … عن جانبيها منكر ونكير
وبرغم فطنته وسرعة حدسه … روح الدسائس في المقر تدور
سوق السعاية رائج في بابه … والحر بين المفسدين كسير
ان الأمير وان سما بطباعه … خطأ المعية في علاه يضير
وأخاف بادرة يضيق بحملها … صدري يشب لها دمي فيفور

يأتي بها أحد الحواشي مرة | وأنا على الشرف الرفيع غيور
اني عزيز النفس أحفظ مركزي | ماضي اللسان وأين منه جرير
فاذا رميت المفسدين بأسهمي | ماذا ترى من بعد ذاك يصير
واذا هجوت منافقا لنفاقه | أشقى ومالي ان سكت عذير
ولذاك أضحت للامير زيارتي | غبا ولكن ما دُعيت أزور

جاء النذير

كان المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب يخاف من الشيب ويتأثر جدا ممن يصارحه بحقيقة عمره ، جلسنا مرة ونظر بالمرآة فتاوه من الشيب الذي ظهر وبان تأثره ، فقلت : علام التأثر ؟ فقال : جاء النذير ، فقلت :

يريد الشيخ أن يبقى فتيا | ودولاب الزمان به يدور
رأى شيبا يلوح بعارضيه | فكاد لحزنه فرقا يطير
فقلت علام خوفك قال دعني | فاني كدت من جزعي أخور
ألم تر شيب رأسي بازدياد | فمذ ظهر البياض مضى السرور
لان الشيب مفتاح المنايا | وبعد الشيب شر مستطير
وقال الله عز وجل قولا | بآي الذكر جاءكم النذير

ساعـده تكسب أجـره

عارف الحسين شاب من الوطنيين الحلبيين الذين جاهدوا في الحركة الوطنية ضد الافرنسيين داخل المدارس وخارجها وتحمل كثيرا من العذاب حتى نال البكالوريا ولأجل اتمامتحصيله في اوربا ليحوز الدكتوراه راجع وزارة المعارف فكان عمال الافرنسيين يعاكسونه ولما تولى المرحوم سعد الله الجابري رئاسة الوزارة طلب مني عارف الحسين التوسط له عنده ليساعده فنظمت هذه الابيات وقدمتها لسعد الله فعمل جهده حتى سافر عارف الحسين الى فرنسا وحاز على الدكتوراه والابيات هي :

حنانيك سعد الله واسمع لصاحب	نداء محب لم يخاتل مـدى العمر
نصوح حريص مخلص في وداده	لاصحابه الاخيار في السر والجهر
يُقـدم في هذه القصيدة طالبا	جريئا نزيهـا طيب الفعل والذكر
عليـه قضى دهر غشوم بظلمـه	وكم ذا يسيء الدهر ياسعد للحر
بعثـت بـه للجـابري مؤمـلا	عساه بطيب الفعل يجبر للكسـر
فيشكو اليكم ما يلاقي بدهـره	بمدرسـة التجهيز من شدةالعسر
فكم مرة جازوه بالطـرد ويحهم	وكم مرة ساقوه للسجن والاسر

لخدمته الاوطـان في كل موقف عصيب ولما يبلغ الحلم في العمر
وبالرغم من هذا فقد ظل دائمـا على مبدأ الاحرار يعمـل بالجهر
ولم يخش تعذيبا ولا خاف (فلقة) ولا هاب سجنا أو توحش من أمر
وما زال يسعى كي يتم عـلومه بمدرسة تنجيـه مـن آفة الفقر
وفي العلم للتلميـذ درب معبـد اذا سار فيه جاهدا عـاد بالفخر
فساعده واكسب أجره مع محبتي فلست بناسي الفضل يا سعد في عمري

الدهــور تدور

قلت في طبريا في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ حيث غضب علي قـائد اللواء ٨٠ ونحن في بلدة الناصـرة فأمر بجمع جميع الجربانين من جنـود اللواء وشكل منهم مفرزة ارسلني قائدا عليها الى طبريا لمعالجتهم في مياهها المعدنية فقلت :

سألزم نفسي الصبر مهما تقلبت صحائف دهري والزمـان يدور
وارضى بما ألقى وان كان قاسيا فقـل لزمـاني ما أحب يجـور
فمهلا اذاً يا نفس بضعـة أشهـر فتظهر من بعـد الامور أمـور
فأرغم دهري أن يتقبّـل راحتي ويشهـد اني عـاقل وصبـور

رسالة من طور سيناء

وقلت وقد ارسلتها قصيدة بدلا من كتاب الى صديقي بكري افندي الهبل من بئر المغارة من طور سيناء في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩١٦ اصف فيها حالتي وكنت ضابطا مفرزا مع سبعين نفرا للمحافظة على بئر المغارة وهو جبل فيه سبع آبار في الصحراء في طور سيناء :

أخي العزيز سلام يا أبا بكر ... أريجه طيِّب عطر على عطر
من بعد سؤلي مع استفسار خاطركم ... أبدي لحضرتكم ما كان من أمري
سافرت عنكم وقد خلفت عندكم ... قلبي وروحي فرفقا فيهما بكري
ورحت أمشي بأرض لاحياة بها ... رمل جبال وفي الوديان والوعر
في طور سينا بارض التيه ليت أبي ... لم يأت أمي ولم أخلق بذا العصر

الحر والبرد

أقضي نهاري بحر عشره سقر ... عند القياس فيا ويلي من العَشر
هذا ونحن بكانون فكيف بنا ... ان حل تموز في وقد من الجمر
والبرد في الليل بالرحمن منه فعذ ... ما ذا أقول به والله لا أدري؟!..

الذباب

أما الذباب طفيليٌ يطاردني ... مهما جريت أمامي دائما يجري
فان شربت طفا بالكأس وهو اذا ... طبخت شيئا لنفسي غاص في القدر

فظ غليظ فـلا يبقى بلا وخـم يخرى هنا وهنا حتى على عمري!
وعند قيـلولتي يأتي يداعبنـي بالطن والرن والتصويت كالزمر
حول العيون وفي الآماق مرتعـه عند الهجوع وحول الأنف والثغر
فان سهوت نهـارا راح يلسعني وان صحوت بـدا بالكرّ والفرّ
يكيدني عنـدما يبدا يفرّك في يديه مثل عـدوٍ سـرّه قهـري
وان مشى فوق جسمي يقشعر له جلدي وعظمي اذا يمشي على الشعر
وهكـذا عملي طول النهار بـه يبقى عشيري منذ الفجر للعصر
ينام في الليل خوف البرد من تعب لكن يقوم لتعذيبي مـن الفجـر

القمل والصئبان

والقمـل عشش أكواما بألبستي جسمي غدا ياأخي من قرصه (مهري)
يدب مثل دبيب الشيخ لسعتـه كطعنة من فتى بالسُمر في الصدر
صئبـانه في ثنايـا الكم تنظرها بل تحت ابطي (هرتديني) من الحفر
جسمي تشوه من حك الاظافر لو فحصتني قلت فيه قرحة (الجدري)

خيمتي

وخيمتي شبه كوخ فيـه أمتعتي أكياس ملأى فمن سود الى صفر
هـذا به عدسي هـذا به بصلي هـذا به برغلي هـذا به بُرّي

أما طعامي فلا سمن ولا عسل سوى النواشف[1] من كعك ومن تمر

وليس عندي هنا للحم من أثر ولم أجد أثرا في القفر للدَّرِّ[2]

وليس من خضرة عندي ولا رجل طاه وليس هنا للحلو[3] من ذكر

أما غسيلي (فتعفيش أعفشه) مع الشنان وتخبيط على الصخر

ولا أرى لقميصي من يرقعه ان قدَّ من قبل أو قدَّ من دبر

أما الندامى فأخلاط مجمعة من الرجال ولا تسأل عن الخمر

خمري همومي وأما النقل من حزني هذي حياتي مضت شهرا على شهر

استغفر الله قل لي ان كفرت هنا من ذي الحياة أيرضى الله عن كفري

ماذا فعلت لالقى ما وقعت به في أول العمر بئس العمر من عمر

خبره عني وقل يارب عبدك قد ملّ الحياة من الاسفار في القفر

وقل له انني آمنت من زمن بأنه الواحد القهار في قهري

وانني بعد هذا لم أعد أبدا أخاف من ناره أو (عصة) القبر

لانني ذقت أهوالا غدوت بها شبه الخيال من التعذيب والحصر

وهذه قصتي حررتها لكم فيها كثير مضى والله من فكري

تم الكتاب تحياتي اقدمها قبل الختام الى عمي أبي بكر

وألف حمل سلام للجميع ودم لحافظ العهد ما بين الورى (فخري)

---

(١) النواشف : يستعملها أهل دمشق للطعام الخفيف مثل الجبن والزيتون والتمر والزبيب الخ . . .

(٢) الدَّرّ : اللبن .

(٣) والمقصود بالحلو ـ الحلواء .

سئمت عشرة البقر

وقلت وارسلتها الى صبحي بك قائد اللواء ٧٩ ووكيل قائد الفرقة ٢٧ العثمانية من طبريا وكنت مفرزاً لقيادة الجنود الذين اصيبوا بالجرب اثناء الحرب وذلك في تشرين الاول سنة ١٩١٦ .

تركت صحبي بين الكأس والوتر — وجئت أركض فوق الصخر والحجر

خلفت أهلي سكارى من تشوقهم — الى لقائي وصرعي الهم والفكر

في كل يوم أجوب الارض منتقلا — بين البلاد مع الأنفار كالنَّوَرَ

يوما بعكا ويوما بالخليل وفي — الصحراء يوما ويوما في شفاعَمْرِو

لايلتقي المرء غير الفول يأكله — مثل الرصاص بطيء الهضم كالحجر

وبرغل ناشف لكن بلا لبن — هذا طعامي بلا حلو ولا زفر

أما الخيام ونومي بالخيام وما — لاقيته عبرة من أعظم العبر

عقارب حشرات مالها عدد — زوابع وغبار (أعمشت) نظري

ماذا أقول وخير القول أقصره — سئمت عيش الشقا مع عشرة البقر

والنفس حنّت الى أهلي وعائلتي — وعفت ديني وحق القرد من طفري

فاسمح بحقك يامولى الكرام وجد — وأذن بعشرة أيام مع السفر

أروح فيها الى أمي فأحضنها — وأطبع اللثم فوق الرأس والشعر

وليس لي سند ذا اليوم من رجل — الاك أنت صبيح الوجه في البشر

قلدتني مننا لم يحصها قلم — عقود فضل حكت عقدا من الدرر

واسلم ودم ساميا بالعز أوج علا — رايات مجدك تعليها يد الظَّفَرِ

الحجاب هــو الطهر

وقلت وقد القيتها بحفلة بنات الشهداء في مدرسة نور الفيحاء بحضور الأمير زيد بن الحسين ونخبة من افاضل السوريين وذلك في السنة الثانية من تاسيسها عام ١٩١٩ ولا يخفى ما كانت عليه عقلية أهل البلدة ونظرتهم الى البنات بعين الاحتقار وكم كان لهذه القصيدة من الوقع حيث هاجمني جميع اهل دمشق ولم يساندني غير نفر قليل مــن الشبان المثقفين ، وفي ذلك الزمان كان الرجل اذا تكلم عن امراته او ابنته يقــول عند ذكرهــا لمخاطبه : ان خادمتك اجلك الله : طبخت لنا كذا او اطعمتنا كذا .

قفوا وابعثوا في الدهر نظرة عاقل ... تروا انهذا الدهر دوما هو الدهر

وما ذمّه في النــاس الا مغفــل ... جهول ضعيف الرأي ليس له فكر

به الخيروالاسعاد والنحس والشقا ... كمـا انه حـلو كذاك هو المـر

وما الذنب ذنب الدهر فيما أصابنا ... ولكن جهـل الأم كان به الســر

ومن يرض جهل البنت أو يأب علمها ... فليس له عقــل وذاك هو الغــر

عليهـا ترقينـا اذا ما تهـذبت ... ومنهـا تدنينا وفي جهلهـا خسر

أليست فتاة الشرق بالعقل والذكا ... كمثل فتاة الغرب ان محّص الامر

ولكنْ هذي بالجهـالة رُبّيت ... وتلك بعـلم ليس يدركه حصـر

فأصبحتا هذي بجهـل وحـيرة ... تعيش بليـل ما لظلمائـه بـدر

وتلك تغذت بالعـلوم فأصبحت ... ربيبـة فضل ليس ينقصهـا أمر

هي الأم في الحالين والطفل ابنها ... فان لقنتـه الفضل فالسيد الحر

وان لقنته الجهل والجهل قاتل ... يمت واذا يحيا فليس له ذكر
وليس حجاب البنت يستر وجهها ... حجابا ولكنَّ الحجاب هو الطهر
وما الفخر في حَجْبِ البنات وانما ... بصحَّة تعليم البنات غدا الفخر
وما أبدع الفيحاء ان ظل نورها ... ينير سبيل البنت وهو لها فجر
وانعم بغادات نهضن بعصرنا ... واعمالهن اليوم فيها لنا بشر
ودمن لنا عونا على الجهل دائما ... وهن على الأيام انجمنا الزهر

بيت الزجاج

طلب مني وزير المعارف محمد بك كرد علي بكتاب ان اذهب في بعض الاسابيع الى نادي المحاضرات في دار المعلمين لانتقاد المحاضرين ومناقشتهم، فذهبت يوم الخميس والقيت هذه الأبيات قبل محاضرتي الاولى وذلك يوم الخميس الواقع في ١٧ مارس ١٩٢٣ ووجهت الخطاب لمدير النادي عبد القادر بك العظم :

مسائل النقد محفوف بها الخطر ... مهما يكن أمرها فالعتب منتظر
وناقد الناس مهما جلَّ مقصده ... يجني العداوة ممن ليس ينتظر
ومن تصبه سهام النقد عاش وفي ... أحشائه من بقايا جرحه أثر
فهل ترومون نصبي بينكم هدفا ... الى العداء وما يأتي به القدر
ومن تكن داره بالله من خزف ... ترى أيرضى بأن يُرمى بها حجر
أطلق يديَّ ودعني في مسامرتي ... مع الشباب بمجد العُرب نفتخر
شيخ الشباب أنا والكل أعشقهم ... والحب أجمل ما يحيا به البشر

تحت المطـر

لما نفتني السلطة الافرنسية الى الحسجه وضعوني بغرفة منفردة ليس في قربها بيت خـلاء ولما كان الموسم شتاء والامطار كثيرة في الجزيرة ، وكنت اتاذى كثيرامن الامطار التي لم تكد تنقطع حتى تعود الى الهطول في ذلك العام وكانت اكثر امتعتي حول الغرفة في العراء تحت السماء والارض من تراب ومتى نزل المطـر لايمكن لانسان السـير الا بصعـوبة زائدة ولا يمكن ان يضع الانسان حاجة الا امتلأت طينا وقد تحملت كثيرا من العناء . وفي يوم اشتدت امطاره ودام المطر اربعا وعشرين ساعة بشدة فلم أقدر أن أحبس نفسي فاضطررت لقضاء الحاجة تحت المطر الشديد وكنت أقضي حاجتي تحت الامطار احمل بيدي المظلة فقلت :

هـل قرأتم في غريب السِّيَر — أو سمعتـم مـرة في خبـر

عـن كريـم مبعـد معتقـل — عنـد قـوم من بُناة الحضر

أنـه يخـرج في حـاجتـه — كـرم السامـع تحت المطـر

(حسجة) كانونها في قـرّه — زمهـريـر لاذع كالابـر

أحمـد الله بـأني ليس بـي — مرض الزَّحير أي (ديزنتري)

كم رأيتم مبعـدا في سجنـه — هل رأيتم واحـدا مثلي بري

لو تراني جاثمـا محدودبـا — فوق ذاك الوحـل مثل النَّور

فاتحـا (شمسيَّتي[1]) كي أتقي — خطر الامطـار وقت السحـر

لرأيتم عجبـا مـا مثلـه — عجـب مـا بين كـل البشر

لاتلومـوني على هـذا فـذا — بعض ظلم الحاكم المستعمـر

---

(١) الشمسية : عند الشاميين المظلة .

مساجلة

بيني وبين البزم

رأيت (محمد البزم) يفكر فكتبت له بيتا فأجابني عليه وجرت بيننا المناقشة الآتية :

فخري :

أراك كثير الهم منقبض الصدر ... أصابك عشق أم سئمت من العمر

محمد :

أجل قد مللت العمر والعمر ملني ... وشمت من الايام حادثة النكر

فخري :

بحقك خفف من همومك (تنفة) ... فما العمر الا ما يمر من الدهر

وما الهم الا وهم فكر فلا تكن ... أسيرا لاوهام الخيال أو الفكر

محمد :

على انني والله يشهد انني ... أخو همة لاتقتضيني سوى الفخر

فخري :

أخو الفخر من لاييأس العمر انما ... أخو الفخر من قد عاش متسع الصدر

النفع والضر

طلب مني مصطفى افندي تمر بيتين بذم الكسل ومدح الجد فقلت :

من لازم الجد يجني أحسن الثمر — من روضة الحزم والعلياء والظفر
وصاحب الكسل المشؤوم طالعه — يصاحب الذل والبأساء للحُفَر
فاختر لنفسك أي الحالتين وكن — ندباً يفرق بين النفع والضرر

* * *

وقلت وارجو أن تكتب هذه الابيات على شاهدة قبري :

قفوا أيها الزوار قربي هنيهة — وقولوا سلام أيها الميت الحرُّ
وطوفوا حيال القبر صحبي وفكروا — بموت أكيد ثم يتبعه حشر
تروا ان كأس الموت حق على الورى — وكل له يوم وان أتّف العمر

* * *

قدم لي فريق من شبان الحقوق قلما ذهبيا يوم انتخابي نائبا في المجلس التاسيسي فقلت وذلك سنة ١٩٢٨ :

هدية شبان الحقوق ثمينة — سأحفظها ذكرى الى آخر العمر
هو القلم المملوء آمال أمة — بغير أماني اليعربيين لا يجري
وعهدي لكم اني أوقع باسمكم — به صك ميثاقي وميثاقكم فخري

* * *

غبار الوقائع

اشار احدهم الى شعري وقد ظهر فيه آثار الشيب بكثرة وقال ماهذا يافخري اكبرت الى هذا الحد فقلت :

غبارٌ وقائعِ الدهر   توالت في مدى العمر
وشيبى من تراكمها   يراه الناس في شعري

* * *

حرية الفكر

في أواخر سنة ١٩٢٥ اشتدت الثورة السورية وضاع صواب الافرنسيين فلم يعودوا يعرفون مايصنعون ، ولما كنت من الوطنيين المعارضين ارادوا الخلاص مني فسجنوني في قلعة دمشق بغرفة منفردة تسمى « السيلول » وطال الوقت ولم اقدم للمحاكمة فقلت :

سجنا بلا ذنب فطال اعتقالنا   وغاية ما في الامر حرية الفكر
فبئستحياة الحر فيالسجن موثقاً   على حين أن الخائنين أولو الأمر

الى زوجتي

قضيت مع زوجتي رحمها الله اثنتين واربعين سنة بسرور وهناء وقلت هذه الأبيات في عمان في سنة ١٩٣٩ عندما فررت من الافرنسيين حيث قضيت سنة وعشرة اشهر بالتشرد :

ولي زوجة ما في الانام مثالها حبتني بعطف لا يضارعه شكري
عشقت بها الاخلاق والود والهنا وحسن سجايا الغيد يندر في عصري
قضينا معا عشرين عاما مكررا كعشرين يوما لا تعد من العمر
برغم بلائي بالسجون وتقلتي من النفي للتعذيب للبعد للاسر
وتركي داري هائما كل ليلة الى الصبح بين العود والناي والخمر
وشغلي بكتبي والصحاب ورفقتي وسكري (وتعتيري) الى مطلع الفجر
تحملها عسفي يزيد بحبها فؤادي فدامت لي الى آخر الدهر

أحـط مـن الحمـر

صدر أمر قائد الجيش العثماني الرابع جمال باشا ان ينتقل اللواء ٨٠ التابع للفرقة ٢٧ من موقع الصفورية قرب بلدة الناصرة الى الرملة ومنها الى صحراء سيناء وكنت ضابطا في الفوج الاول من اللواء المذكور وكان قائد الفرقة من اصدقاء عمي الصميمين فنظمت القصيدة الآتية وقدمتها لقائد الفرقة محي الدين بك قنوات الأرناؤوط وذلك يوم الثلاثاء الواقع في ١٨ اغسطوس سنة ١٩١٦ :

فديتك محي الدين يا صاحب الامر	ويا قائد العليـاء والمجد والفخر
ويا سيد الاقران يا قاهر العدى	ويا صاحب الاعلام تخفق بالنصر
أتيتك هذا اليوم والفكـر سابح	ببحر شقاء دونه مزبـد البحـر
واني وان قصرت بالمدح والثنـا	يقصر عن علياك ما جاد من شعري
فمهلا اذن واسمع شكاية ضابط	أتيتـم به جبرا ليركض بالوعـر
فما أنا ممن يقطع السهـل ماشيا	ولست أجيد السير وثبا على الصخر
وما أنا الا كـاتب ذو يـراعـة	يصوغ كلام العُرب في النظم والنثر
فيدفـع بالتحميس جيشا عرمرما	لخوض غمار الحرب عن طيبة يجري
ولي نفس حُرٍ تأنف الضيم انما	شربت كؤوس الخسف مراً على مر
حملت كثيرا مـن اناس وانهـم	وان خلقوا انسا أحـط من الحمر
وان كنت كالشمس المنيرة بينهم	ولكنهم كالسحب في وجهها تجري

شكوت اليك الحال لا عن تصاغر | وانك بي أدرى وأعلم في أمري
وان ظل عيشي في المهامه هكذا | سألت اله العرش يقصف لي عمري

وبعد ان اخذ القصيدة ضحك وطلبني من اللواء الى مقر الفرقة وسافر اللواء ٨٠ وبقيت في مقر الفرقة وفي مذكراتي تفصيل تام لهذه الحادثة فليرجع اليه من شاء .

والحمد لله الذي استجاب دعوتي بقصف عمره لاعمري ؟!!

* * *

شمس وليل

قلت في شعر اسود فيه خصلة بيضاء كالثلج :

عثرت لحاظي في سواد ظلامه | وعشت عيوني من وضاءة نوره
شمس وليل في أوان واحد | سبحان ربي في طريف أموره

وذكر عسى أن تنفع الذكرى

تعين صديقي عمر بك زكي رئيسا لتشريفات عبدالله بن الحسين في قصر رغدان بعمان فكتبت اليه هذه القصيدة ابارك له بهذا المنصب في ٢٠/١١/٩٤٠ وكنت سعيت بتعيينه وهذه القصة ستأتي في مذكراتي .

أخي عمر يهنيك ما نلت من منًى ... فمني لك التبريك جئت به شعرا

وما زلت أنت اليوم في ظل دوحه ... فكن لبقا واسمع نصيحتي الغرا

اذا شئت أن تبقى سعيـدا بقربه ... فكن حذرا جدا ولا تتبع الهزرا

وشيمتك الاخلاص والصدق دائما ... لسدّة مولانا واسرته طرا

وأول شيء يقتضيك اتباعه ... لمعرفة الاحوال أن تدرس القصرا

لتعرف أخلاق الجميع ولا تدع ... ـ يفوتك من عادات سكانه ـ أمرا

لتعمل ما يرضي الامير وتنتهي ... بلا زاجر عن كل ما يجلب القهرا

واياك أن تغتاب حرا ولا تشي ... بشخص ولا تقطع عن المرتجي خيرا

وأوصل الى أعتابه كل قاصد ... ولا سيما ان كان دافعهم فقرا

ومن لم يكن يلقى شفيعا فكن له ... معينا بهذا تكسب المدح والاجرا

وباللين فاصرف ذا الوقاحة انما ... اذا لم يفدك اللين فاستعمل القسرا

ولا تعط أهل اللؤم وجها ولا تهن ... كريما ولا تنظر الى أحد شزرا

ولا تظهرن غير البشاشة عنده ... واياك فاحذر أن تدير له ظهرا

واما ترى فيه انقباضا ووحشة ... فجيء بنكات عذبة تشرح الصدرا

ولا تتلصص باستمـاع ونظـرة ولا تُعل صوتا بالحديث الذي يُجرى

ولا ترتد الاثـواب الا نظيـفة ولا تتبرج ثم لا تتبـع الكبـرا

وفي الحق قل ما قد عرفت صراحة ولا تخش زيدا ان تـأثر أو عمرا

ولا تسع بالافساد في القصر انما أزل كل شك ربما ينتج الشـرا

وحافظ على ود الحواشي وكن لهم صديقا والا مت من كيدهم قهرا

وما كان لا يعنيك دعـه ولا تكن لجوجا وخذ ممن يكيد لك الحذرا

ولا تك طماعـا بمـال وثـروة وان بذّروا الاموال فاعمل لهم وفرا

وكن لأعـاديهـم عدوا منابـذا وعيناك فيهم فلتكن (عشرا عشرا)

وان سألوا يوما سؤالا ولم تكن عليما به فالصمت في ذلكم أحرى

ولا تتعرض للجـواب مبـادرا اذا أنت لم تسأل وكنت به أدرى

وساعد بما أحرزت من فضل خيرهم بلا منـة اما رأيت بهـم عسـرا

وحافظ على الآداب في كل مجلس خصوصا بوقت الأكل أو (كسرة الصفرا)

وان كنت في ناد وجاؤوا بذكرهم فاصلح خطا النقاد بل احسن الذكرا

يعكّر صفو الملك أخطاء خـادم له صلة بالقصر بل يفسد القصرا

فكيف بأخطـاء البطـانة ياترى وذنب الحواشي لا يرون له غفرا

فاياك أن تخطىء فتأتي رحـابه بعار يقول الناس ان جئته هجرا

عليـك بآلات الفتوة[1] دائمـا ولا أقصد الاتقان بل أقصد الخبرا

وايـاك ايـاك النفـاق فانـه عن النفع عار انما يجلب الضـرا

(١) آلة الفتوة هو ان يعرف الانسان كل مايلزم الفتوة من العاب السيف والشطرنج والسباحة والصيد وما الى ذلك .

ولا تبحثن في أيٍّ أمر سمعتـه		اذا لم تحققـه وتمعـن به سبرا
ولا تستغل الناس ما كان شأنهم		ولاترض منهم رشوة ودع البُشرى
بذلك ترضي الله والمَلك والذي		يكون شريفا لايباع ولا يشـرى
ولا تنتقد فعلا رأيت اعوجاجـه		على ملأ في الناس بل اجبر الكسرا
ولا تظهـرن للناس انك صالـح		وغيرك غشاش لكي تكسب الفخرا
صلاحك في حسن الفعال حقيقة		وبالقول لايكفي بأن تظهر الطهرا
ومـع انني أدري بأنك عـارف		بما قلت في نصحي وأنت به أدرى
ولكنني ذكـرت اذ قـال ربنـا		وذكّر عسى أن تنفع الذاكر الذكرى

نمت على حرير

وعدني احد اصدقائي بشيء وتأخر الوعد فكتبت له :

سحائب فضلكم مـذ شع منهـا		بريـق الخير نمت عـلى حرير
وطـال الوقت حتى كدت أخشى		انقشاع السحب دون غد مطير
فلا تبقـوا المنى مـن غير سح		ومطـل الوعد يذهب بالسـرور

وما كادت تصله الأبيات حتى وفى بوعده . .

الى الأمير مصطفى الشهابي

جاءني احمد القعقاع الى دمشق وكان عندي طباخا يوم كنت في عمان ملتجئا يطلب مني توصية لمحافظ اللاذقية الامير مصطفى الشهابي لايجاد عمل له في شركة حصر الدخان فارسلت للأمير هذه الأبيات في ١٩٤٨/٩/١٦ .

يا حبيبي وأميري   وصديقي ونصيري
أحمد القعقاع كان الامس   في المنفى سميري
ولقد خفف عني   بعض أعباء الشرور
وهو اليوم تعيس   في حياة كالسعير
قد أتى يشكو ويبكي   بعويل وثبور
جاءني يرجو نصيرا   فاكفنيه يا أميري

فسعى لدى مدير المصلحة وعينه نجارا فيها وارسل لي جواب ابياتي ابياتا تاتي في مذكراتي .

مختار الجرباء

اهديت الى الصديق احمد الجندي زجاجة كولونيا فكتب الي قصيدة يشكرني مطلعها :

أهديتني من عبير الزهر أعطارا   سر الفؤاد لها والهم قد طار

وختمها بهذه الابيات :

ملأت دنياي من نعماك مكرمة ... والعطر أحسن ما في الكون تذكارا
لا زلت للوطن المحبوب خادمه ... ولم تزل لعبيد الدار عطارا
ياليتني كنت في كيوان(١) جاركم ... أو ليتني كنت في(الجرباء(٢))مختارا

فأجبته :

مختار كيوان

جاء الرسول بشعر منك هيجني ... كأن قلبي منه استاف أزهارا
فحن شوقا الى المحبوب يذكره ... بكل خير ولو في هجره جارا
شعر كريشة عود هيَّجتْ شجنا ... في مهجة الصب تحنانا وتذكارا
شعر يدغدغ احلامي فيطربني ... قلبي لخفقته من وكره طارا
مسست فيه شعوري كي تداعبني ... كما تداعب كف الخود أوتارا
يا أحمد الفعل ياجنديّ ثكنتنا ... عش رغم أنف العدا بالصفو أدهارا
جعلتني ياخفيف الروح من خجل ... بأي قول أرد القول مختارا
(سَلَمْيَة) بك تزهو في مفاخرها ... لازلت فيها كريما تفتح الدارا
فعش وجيها ولاترهب بها أحدا ... ودق في عين من يشنوك مسمارا
ودمت عمدة(قاووش) الشباب بها ... حباك ربي (كساطورا وبسطارا)
ياليتك العمر تغدو لي توانسني ... في النيربين وفي كيوان مختارا

---

(١) كيوان : المحلة التي اسكنها اليوم في مدخل دمشق .

(٢) الجرباء : قرية في مرج عذراء لي فيها حصة .

هذي الوظيفة في كيوان شاغــرة لأن مختارهــا قــد طلّق الكارا

حيث استقــال وقد ظلت وظيفته لــلآن شاغرة من يــوم أن سارا

الــى أبى حيــان

في ليلة سمر مزحت مع الصديق (ابو حيان) الاستاذ أحمد الجنــدي وبدرت مني كلمة نابية من غير قصد فتاثر منها وقاطعني زمناً طويــلاً لم يزرني فيــه وفهمت انه لم يزل متاثرا من كلمتي فكتبت له ما ياتي فعــاد الزيارتي وعدنا الى صداقتنا بعد ان اسمعته اياها بالهاتف :

اذا سبــق اللسان بلا اختيار وأخطــأ دونما أي احتقــار

الى خــل صــديق ذي دلال كريم الاصل محمود النجــار

فعذر الخل مقبــول ويُعفــى عن الهفوات والقول (الفشار)

وكنت أظن أحمــد ذا وفــاء حصيفا فيــه أخــلاق الكبار

ووا أسفي رأيت خلاف هــذا له عقل الجنود (الانكشار)

الى حيان لو كان اعتــذاري على قــول به قبل اعتــذاري

وكان أجاب عــن فرح وشوق وأسرع راكضا كالسيل جاري

ولكني اعتذرت الى صــديق كبير الجسم في عقــل الصغار

السلام على الفنون

بعد اغلاق المعهد الموسيقي بطي مخصصاته جعلت اراجع وزراء المالية الذين تعاقبوا على كرسي الوزارة. ولما تعين السيد شاكر العاص وزيرا للمالية راجعته بخصوص المعهد الموسيقي وقدمت له هذه القصيدة ولكن مع الأسف لم يفعل شيئا :

مالي بعصر النور ناصر	الا وزير المال شاكر
فاسمع شكاية مغرم	بالفن قد مل الظواهر
من عهد فيصل لم أجد	عونا لمشروعي يناصر
والفن كاد يموت من	جهل الاصاغر والاكابر
ممن تولوا أمرنا	في الحكم من ماض وحاضر
من كان يملأ نقده	رحب البوادي والحواضر
يبكي على الفن المضا	ع بعصرنا فوق المنابر
وعلى تأخرنا تراه	بكل معنى القول ثائر
واذا أتى كرسي الوزا	رة مثل من سلفوا يكابر
ويعود أبكم بل أصـ	ـم تقول من أهل المقابر
ويصير يهرب كالغزال	اذا رأى الصياد سائر
واذا أقيل أو استقـ	ـال تراه يأتي بالمعاذر
والآن أنت وزيرنا	والمال بين يديك وافر

وعلى اشادة معهد | للفن أنت الآن قادر
يا صاحب الفكر السليم اليو | م في الجيل المعاصر
في عود سكة آدم[1] | ان كنت (عاص) فيه كافر
في عود[2] موسيقى جدو | دك كن اذاً حيَّ المشاعر
أسس لأمة يعرب | عملا به دوما تفاخر
فاذا فعلت فمرحبا | وأنا أكون اليك شاكر
واذا رفضت قل السلا | م على فنون العُرب «شاكر»

---

(١) عود الحراث .

(٢) العود آلة موسيقية معروفة .

يلزمه الطنز

اجتمعت بالاخ المرحوم خليل بك مردم بك وجرى الحديث بيننا عن الشعراء في تلك الايام وذلك في اوائل دخول الملك فيصل الى دمشق فقال لي اني اتفقت مع الاستاذ احمد شاكر الكرمي صاحب الميزان على تقويم شعراء اليوم وشننشر التقويم قريبا ، قلت هل يمكن ان تسمعني تقويم شاعر ممن ستكتبون عنهم قال نعم قد قلنا في الاستاذ محمد البزم :

راى مشكاة الشعر فسار اليها ولما كاد ان يصلها ضل الطريق ، وانتهى اجتماعنا وبعد بضعة ايام تصادفت مع الاستاذ البزم في مطعم وجلسنا على مائدة واحدة واخذنا بأطراف الحديث وكان الاستاذ البزم ورث عن والده مالا لابأس به فترك العمل واغلق حانوته وباع البضاعة واضاع جميع ثروته في المسارح والمواخير وكاد ان يعلن افلاسه واصبح شعره فيه شيء من الركاكة لكثرة السهر وقلة المطالعة فلما اجتمعنا في المطعم قلت له اذا بقيت على هذه الخطة فانك ستفقد اصدقاءك وستعرض نفسك لاصحاب الالسنة الطويلة قال ماذا تعني ، قلت : اخبرني احد اصدقائي انه عازم على تقويم الشعراء وقد قال فيك كلمة لا اريدها لك وانت من خيرة شعرائنا والذي قالوه فيك هو كذا وكذا فدع هذه الحياة وعد الى عقلك وارجع الى مكتبك للمطالعة لتعيد ثقة الناس بك قال من هو المقوّم قلت ستعرفه عندما ينشر تقويمه قال اظن انك انت هو قلت لا قال اذاً لماذا لاتخبرني قلت لا اريد أن ارمي اخواني ببعضهم وبعد نشر التقويم ستعرفه فتركني ومضى غاضبا وبعد بضعة ايام قرات قصيدة زائية في جريدة المفيد التي كان ينشرها الاخ الصديق الاستاذ خير الدين الزركلي يفخر فيها على معاصريه ويهاجم فيها شخصا لم يذكر اسمه وقال لاحد اصدقائه ان هذا الروي لايوجد في جميع دواوين العرب قصيدة تحوي أكثر من اربعة عشر بيتا من هذا الروي وان قصيدة البزم فيها ثمانية وعشرون بيتا وهذا مما يفتخر به فكتبت القصيدة الآتية وارسلتها الى الاستاذ الزركلي لينشرها في الصحيفة ردا على البزم وكان الزركلي صديقنا نحن الاثنين فأخَّر نشر القصيدة واطلع البزم عليها فجاءني مهرولا وقال : مادهاك مالك ومالي قلت جوابا على قصيدتك ، قال انا لم اقصدك انت قلت بلى : قال ابدا واقسم ايمانا مغلظة

انه لم يقصدني فيها قلت من تقصد قال المقوّم الذي اخبرك قلت وماذا تريد الآن قال اريد ان تبقى قصيدتك بلا نشر وسنبقى الى آخر العمر اصدقاء وكان ذلك . وبعد نشر قصيدته اظن ان الكرمي ومردم بك احجما عن نشر التقاويم وقصيدتي التي لم انشرها آنذاك هي هذي :

عجبت وأيم الله من أمر شاعر ... له كل يوم في تقلبه طرز

ولم أر فيما قاله في زمانه ... من الشعر بيتا كان فيه له فوز

ومن يدّعي في الناس ماليس عنده ... ولم يأت بالبرهان يفضحه العجز

ويسكت دهرا ثم يأتي بقطعة ... يظن بأن الكون من ذاك يهتز

يفتش في القاموس عن كل لفظة ... لها في مجاري السمع من وقعها وخز

فان كان اظهار البلاغة في الورى ... بزعمك ياهذا هو الحمز (١) والجمز (٢)

فتلبا (٣) اذا للمُصْمَغِدُّ (٤) بنزبه (٥) ... هو البَغْثَر (٦) الجفاخ (٧) يلزمه الطنز (٨)

فقل لي اذن بالله ان كنت عالما ... متى كان سبع الغاب تنطحه العنز

ولكن اذا دار الزمان بأمة ... ونامت نسور الجو يستنسر الوز

---

(١) حمز يحمز حمزا الخردل اللسان لذعه .
(٢) جمز يجمز جمزا عدا واسرع .
(٣) التلب الخسار يقال تبا له وتلبا له الزمه الله هلاكا وخسارا .
(٤) المُصْمَغِدُّ : المتكبر المتعجرف .
(٥) النزب : الصوت العالي .
(٦) البغثر الأحمق .
(٧) الجفاخ : بمعنى الجخّاخ اي المتكبر .
(٨) الطنز السخرية والطنّاز الساخر .

نهـر النيـل

في عـام ١٩١٦ وقعت اسيرا في موقعة بئر السبع بيـد الانكليز مـع الاميرين بهجت وفايز سليم الشهابي وقد اوقفونا في قصر النيل في القاهرة فطلب مني الأمير وصف النيل وقصره بأبيات فقلت :

النيـل نهـر له فضـل يميـزه　　مبـارك الاسم عند الله والناس
ينساب شبه الافاعي في تعرجـه　　بين الجنان جنان النخـل والآس
والشمس ان عكست في مائه رصفت　　رصف الرداء على أكتاف (قواس[1])
أما انعكاس شعاع الكهربـاء به　　بالليل يحكي انعكاس الشمس بالماس
وقصره قد حكى الحمراء مفتخرا　　بالنيل تلقاه دوما رافع الراس
شبه القلاع متـين الاس تحسبه　　صرحا على جبل من فوق أقواس
أشجاره باسقات والطيـور على　　أفنانها قد شدت من كل أجناس
من أسود قـاتم أو أبيض يقـق　　كعمة الشيخ أو سـربال شماس
في حلبة الوصف مهما طرت في قلمي　　فانني مـدرك تقصـير أفراسي

---

(١) القواس : هو محافظ القنصل الأجنبي في البلاد العثمانية يلبس رداء موشحا بالقصب ولم يزل الى اليوم في بلاد الشام منهم حجاب للبطاركة .

تضحك في الكؤوس

كان احد الجنود المتطوعين الذين خرجوا من مكة مع الأمير فيصل عام ١٩١٨ في الثورة العربية الكبرى المدعو السبع من اهالي مكة السكيرين المشهورين وبعد خروج الأمير فيصل من دمشق الى بغداد التحق السبع بالأمير عبد الله في شرقي الاردن وكان يسكر ليلا ونهارا بشكل غريب وقد رايته يوما في شونة العدوان سكران يعربد فناديته ياسبع قال لبيك قلت علام تعربد قال اسمع الخمر تصمت في الزجاجة وتضحك في الكاس وترطن في الراس فاخذت هذا المعنى من السبع السكران وزدت عليه .

الخمر تصمت دائما   في دنها صمت العروس
لكن اذا أطلقتها   تزهو وتضحك في الكؤوس
واذا تعدت طورها   بالفعل ترطن في الرؤوس
وتصول في ساح الدماغ   كأنها البطل الشموس
وتطل من حدق العيون   بلون نيران المجوس
فكأنها الأقدار تلهو   في حظوظ ذوي النحوس
وبرغم ذلك انها   تهدي المسرة للنفوس

حاسد على نعمة أو شامت

بعد انتقالي من دمشق الى ضاحيتها كيوان لامني بعض الأصدقاء فنظمت ماقاله عروة بن الزبير وقد قالوا له الا تنتقل الى المدينة قال : مابقي بالمدينة الا حاسد نعمة او شامت بمصيبة فقلت :

قالوا لعروة مرةً من بعد ما	هجر المدينة هجر حرٍّ يائس
أفلا تعود الى المدينة قال لا	غدت المدينة محبسا للفارس
لم يبق فيها غير حاسد نعمة	أو شامت بمصيبة أو يائس



اضرموا الثورة

وقلت : بعد احتلال الافرنسين لسورية في ايام الثورة السورية عام ١٩٢٥ هـذا الموشح وطبعتـه بنشـرات والقيتهـا في شـوارع دمشق نشرة سرية أثرت على الافرنسيين تاثيرا كبيرا اذ لـم يعرفوا مصدرها لأني انا الناظم والطابع والناشر .

يا أبـاة الضيم يا أسد الحمـى　　لم يزل في الشـام بعض القبس

أضرموا الثـورة يـا قومي فما　　بعد هـذا العيش غـير الدنس

* * *

يـا بني الشـام رأيت العجبـا　　منكـم والله في ذا الزمـن

حقنـا مـن يدنـا قـد غصبا　　وسوانا نـام فـي عيش هنـي

من رضـوا بالذل ليسوا عربـا　　فاقتـلوا مـن رام ذل الوطـن

لاينجّينـا سوى سفك الدمـا　　فاغسلوا بالـدم وصم الرجس

قتـلة الأفـراد تحيي الأممـا　　والدمـا للملـك خـير الأسس

* * *

ان مـا يأتيـه أهل الانتـداب　　كل يوم مـن ضـروب الحيَل

ليس يجديهم وان نالوا السحاب　　أي نفـع غـير محض الفشـل

فدعوهـم يرهقـونا بالعـذاب　　لـيروا فعل الضعيف الاعـزل

وليكمموا فم مـن شـاءوا فمـا　　مات مـن يبلى بداء الخـرس

ان بـين البكم مـن يأتي بمـا　　عجـزت عنـه فحـول النطّس

* * *

ان مـن يأتي اليـنا من بعيـد ... ويمنينـا بـخـير النـِّعَـم
هو من لم يرضَ عن بيع العبيـد ... واستحـلّ اليوم رِقَّ الأمـم
لست أدري كيف منـه نستفيد ... كيف نجنـي عسلا مـن علقـم
بـين علٍّ وعسى مـع ربمـا ... قُطـرنـا يلحـق بالأندلس
ليس من يجبن منا مسلمـا ... لا ولا يعـرف روح القدس ..!

* * *

هل يطيب العمر في هذا الوجود ... أو يلذ العيش في هذا الزمـان
بـين قوم لايراعـون العهـود ... مالهم عهـد ولا منهـم أمـان
خيرة الشبان أسرى في القيـود ... وكرام العرب في أقصى هـوان
أمـة تشكو الأسـى والألمـا ... بـين أيـدي فاتـك مفتـرس
فلنجُد بالروح قـومي مثلمـا ... جـادَ طـلاب العـلا بالأنفس

* * *

ان بقينـا اليوم من غـير حراك ... وسـوانا صـاعـد للقمـر
وقضينـا وقتنـا بالانهمـاك ... في هـوى الأنفس بعض الاشهر
ما لنـا من بعدهـا الا الهـلاك ... فاحـذروا يـاقـوم كلَّ الحذر
قـل لمن ضحّى هـواه الشمما ... طمعا في منصب أو مجلس
لاترَجَّ الدهـر منهـم مغنمـا ... مفلس لايغتنى مـن مفلس ..!

بهـاء الشمس

ذهبت الى طرابس الشام في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وجلست في دكان لعبد الرحمن شمس وكان فيها بعض اصدقائي وقد اتخذوها مجتمعا لهم لرقة صاحبها وكريم خلقـه وكان يبيع فيها التبغ وكثـيرون كانوا اذا جاؤوا لشراء علبة دخان يستحون من الجالسين ويذهبون فقلت له خذ هذين البيتـين وعلقهما في الحانوت ففرح وعلقهما بعـد ان كتبهما بخط جميل :

جلوسكم عندي يضـرُّ مصالحي　　فلاتقطعوا رزقي ولاتزهقوا نفسي

فانكم كالغيم في جـوِّ مخزني　　تلبـده دوماً يغطي سنى الشمس

فكان هذان البيتان سبباً في قطع الزيارات عنه .

حـلم هـل يتحقق ؟

رايت فيما يرى النائم سنة ١٩٥٠ حلماً لطيفاً وبعد ان صحوت احببت ان انظمه فقلت :

شمت في هـدأة روحي حلما بعـد نصف الليل قبـل الغلس
انـي في جنـة الخلـد ومـا شاقـني غـير جمـال المجلس

* * *

أنا في قصرٍ سما فـوق القصور أقطـع الـوقت بانس وانشراح
مـع أصحاب أضاؤوا كالبـدور بوجوه قـد حكت نور الصباح
وجنينـا مـن بساتين الـسرور كـل صفـو بين جدٍ ومزاح
وسلامـا قـولنـا كـان كمـا خلت أنـنـا فـي ليـالي عرس
لـم نجـد في الخـلـد الا نعما لـم تكن في الشـام والاندلس

* * *

نحن في عـدن ورضوان كبـير وكأنـنـا والأمـاني خـالـدون
وعلى رفرف خضر مـن حـرير قـد جلسنـا فوقهـا متكئـين
تحتنا الأنهار تجري مـن خمور نحتسيهـا بكؤوس مـن معـين
حولنـا الولدان كاللؤلـؤ مـا مثلهـم بـالحسن أو بـالملبس
فيطـوفـون علينـا دائمـا بأبـاريـق الطـلا والأكؤس
وشربنـا لـبنـا فـي عسـل وسُقينـا المـاء غـير الآسـن

* * *

في صفـا الأوقات والبـال خلي	مـن هـمـوم وفـؤاد آمـن

فاكهـون مالنـا مـن شغُلِ	ظاهر الندمـان مثـل الباطـن

سُرُرٌ مرفوعـة فيهـا كمـا	ان فيهـا حلـلا مـن سنـدس

كان فيهـا العيش رغدا ناعمـاً	كـل مافيهـا شفـاء الأنـفس

* * *

أين خمر الشام أين الخندريس	مـن ميـاه الكوثر النهر الجليل

كـل مـافي الخلـد فتان نفيس	مابـها لغـو ولا قـال وقيـل

ليس فيها مـن عجوز درديبس	جوهـا بالمسك والـعطر بليـل

مـاشعرنـا ألمـا أو سـأمـا	من عـذول أو عيون الحـرس

مـا أصبنا وَصَبـاً أو سأمـا	لم نجـد بالخـلد مـن مبتئس

* * *

وأتـونـا بـقيـان فـاتنـات	ناعسات الطرف من حـور وعين

ماحـوت أمثـالـهن الـكائنات	وعـليهن غـدونـا عـاكفـين

قلـت غنينـا بـحقي يابنـات	مـن غنـاء العُرب الأكرمين :

« جادك الغيث اذا الغيث همـى	يـازمان الوصـل بالأندلس »

« لـم يكن وصلـك الا حلمـا	في الكرى أو خُلسةَ المختلس»

* * *

فـتغـنين ورددن الـغنـاء	وتمادى الليـل ما شـاء الالـه

وانتشى مـن رقصنا أهل السماء	وانجلى عن ليلنا الزاهي دجـاه

وبمسك الخـلد كان الانتهـاء	عندما الطـير بدا يفتـح فـاه

أومأ الصبحُ الى الليل بما ‌ ‌ ‌ أشعر الليل بخوف موجس
فتوارى خجلا وانهزما ‌ ‌ ‌ مطرقا يعدو كعدو الفرس

* * *

وصعدنا في السماوات نطير ‌ ‌ ‌ كفراش هائم كنا نحوم
وشموس الكون تجري وتدور ‌ ‌ ‌ بنظام جلَّ عن وصف العلوم
وتحيرنا بذا الملك الكبير ‌ ‌ ‌ وسبحنا في الفضا مثل النجوم
وانطلقنا في العَلاء بعدما ‌ ‌ ‌ كانت الارض لنا كالمحبس
تلعب الاقدار فينا كالدمى ‌ ‌ ‌ في يَدَيْ طفل ولم يحترس

* * *

كرة دوَّارة حول ذكاء ‌ ‌ ‌ هذه الأرض رأيناها تدور
ورجوم سابحات في الفضاء ‌ ‌ ‌ وشموس باسمات لبدور
آه ما أحلى عروجا في السماء ‌ ‌ ‌ ما ترى الأبصار فيها من فطور
غير أجرام الدراري حُوَّما ‌ ‌ ‌ في نهار لفها كالبرنس
أيها الجاحد كن منسجما ‌ ‌ ‌ هذه آيات ربِّ الخنَّس

* * *

ومضت قافلة الحلم بنا ‌ ‌ ‌ في فضاء نثرت فيه النجوم
لم نجد غير تباشير السنى ‌ ‌ ‌ تزدهي بين ثنيات الغيوم
ووصلنا بعد يأس وعنا ‌ ‌ ‌ مهبط الالهام وادي أورشليم
فهبطنا في فلسطين وما ‌ ‌ ‌ هاجنا الا شحوب القدس
وأذان موحش فيها كما ‌ ‌ ‌ أوحش الآفاق قرع الجرس

فبكينـا ليتـه يجدي البكـاء ... مـا أضعنا أمسٍ من أرض ومال

قلت فلنبـك كما تبكي النسـاء ... حيث لم نَحْمِ حماها كالرجـال

يـابني يعـرب ما هـذا الوناء ... نحن نمشي في طريق الانحـلال

نحن في جهل وفي الجهـل عمى ... للقـلوب قـاتـل لـلأنفس

فتقوّوا واستعـدوا في السمـا ... وعـلى الأرض وفـوق الأطلس

* * *

ذاك حـلم شمتـه في الجنـة ... وبه أحـلى معـاني النعـم

حقـق الله أمـانـي أمتـي ... قـال شوقي وهو تـاج الكلم :

« الأمـاني حـلم فـي يقظـة ... والمنـايا يقظـة مـن حـلم »

« واذا الاخـلاق كانت سلمـاً ... نـالت المجـد يـد الملتمس »

« فارقَ فيها ترقَ أسباب السما ... وعلى ناصيـة الشمس اجلس »

علـى الفاضـي

يوم حفلـة تكريم الاستاذ ايليا ابي ماضي شاعر المهجر في الجامعة السورية بدمشق في ١٩٤٨/١/٨ خرجت مـن الحفـلة ودعوته لأوصله الى الفندق بسيارتي وكان مقيما في نزل الشرق « اوريان بالاس » وسرنا بين السيارات نفتش عن سيارتي وانا آخذ بيده وبيده الاخرى قـد اخذ الاستاذ خليل مردم بك الشاعر المشهور واخذ بيد هـذا الاستاذ ميشيل ابي شهلا واخذ بيد هذا الاستاذ يوسف يزبك وبشق الانفس بلغنا السيارة وبعد ان صعدنا اليها وقف المحرك « المارش » وعالج السائق تشغيله فلم يفلح الى ان ركض بعض الشـرطة وحجـاب الجامعة وجعلوا يدفعـون السيارة والناس ينظرون الينا ويضحكون وقد وقف رتل كبير من الخارجين مـن الجامعة يتفرج علينا وقد سد الطريق بالناس والسيارات ومـا تحركت السيارة حتى زال الجبل الوهمي الذي ركب على صدري ولما صحوت في اليوم الثاني من النوم مر على فكري هذا الشطر «من قبل حفلة ايليا ابي ماضي» فقمت حالا الى القلم والورق فكتبت :

مـن قبل حفلة ايليـا أبي ماضي ... قد كنت ياقوم عن سيارتي (راضي)

دعوته بعـد ان ألقى قصيدتـه ... يمشي بثوب من التكريم فضفاض

كي يبلـغ الشاعر المحبوب فندقه ... أكرم بـه من فتى بالسحر فياض

فراح يمشي معي والصحب تتبعنا ... فمشي مستمهل أو مشي ايفاض

حتى وصلنا بشق النفس وانفجرت ... عـن ثغره بسمة شعت بايماض

لما ركبنا جميعا والفؤاد مضت ... تجول أشداقـه في عهدنا الماضي

رأيت سائقنا كالـهر في جـزع ... يدير في (مرشها لكن على الفاضي)

وراح يشتم «ديك المرش» في غضب كأنه في اللظى يصلى بارماض[1]
والناس ترمقنا من كل ناحية من الوزير الى القسيس للقاضي
وخف ناس من الحجاب تدفعنا وحركوها فصرّت صرّ رضراض
واصفر وجهي حياء من جماعتنا كأنهم صبغوا وجهي بترباض[2]
وصرت في حيرة مما وقعت به كأنهم قرضوا لحمي بمقراض
حتى مشينا نفست الكرب مبتهجا كما تنفّسُ بكر بعد اجهاض
ياسائق اللؤم لاحييت من رجل يبليك ربي بسل أو بامعاض[3]

الاحتياج

لما التجأت الى شرقي الاردن سنة ١٩٣٩ قبل اعلان الحرب العامة الثانية هربا من السلطة الافرنسية التي وضعت في (كاراج) داري في قرية الجرباء سلاحا حربيا ، بنادق وعتاداً لتلقي علي القبض وتضعني في السجن فهي وضعت السلاح وهي التي وضعت يدها عليه لتجد سببا لسجني لان الافرنسيين بدلوا المندوب السامي في سوريا قبل نشوب الحرب بمفوض سام يدعى المسيو (بيو) واتوا به في هذا الوقت ليحيك الدسائس ويقضي على الحركة الوطنية وقد ظهرت اعماله مفضوحة بعد وصوله بقليل حيث دبر مؤامرة قتل فيها المرحوم الشهبندر وامر بالقاء القبض على عشرات الوطنيين وساقهم الى السجون وساق غيرهم الى المنافي وكان البدء في اعماله ان ارسل مستشار الجيش في قضاء دوما فوضع في داري بندقيتين وادعى انه عثر عليهما اثناء التفتيش والقى القبض على جميع المستخدمين في دائرتي وجعل يحقق ويدقق ويقول من وضع هذا

(١) ارمض الشيء : احرقه .
(٢) الترباض : العصفر .
(٣) الامعاض : الايلام .

السلاح هنا ؟ اليس فخري البارودي ؟ فالجميع انكروا الا الطاهية ام سعيد قالت له ان الذي وضع البنادق هو الجندي الذي جانبك لاني رايته بام عيني من كوة المطبخ فضربها واسكتها وقد بلغني الخبر بسرعة فاختفيت يومين في دمشق ثم فررت الى شرقي الاردن لانقذ نفسي من السجن .

وقد قبضوا على اثنين من رجالي وسجنوهما ويوم فراري كانت شرقي الاردن تحت الانتداب الانكليزي وقضيت فيها سنة وعشرة شهور وقد ذكرت ذلك مفصلا في مذكراتي وقد لامني بعض الاصدقاء وهو الأمير فائز الشهابي وكان موظفا في هذه الامارة على التجائي اليها مع معرفتي انها تحت الانتداب الانكليزي قلت له الست انت احق مني باللوم انا ملتجيء اضطررت الى ذلك لأني لم أجد منفذا للفرار الا شرقي الاردن أما انت فموظف عند الانكليز وتلومني قال ان اضطراري للمعاش جعلني اقبل هذه الحياة فقلت متمثلا بقول الشاعر :

قالت لجارتها يوما تعيرها	أقرنت زوجك أن القرن يفضحه
قالت أ أتركه جَحًا بلا قرن	يأتيه زوجك ذو القرنين ينطحه

فخجل وقال هل يمكنك عمل بيتين تبرر فيهما الالتجاء الى مستعمرة انكليزية فقلت بديهة :

قالوا أتقصد أهل اللؤم من شُتموا	بين الأنام بتصريح وتعريض
فقلت لا تعجبوا من حاجة عرضت	فالمرء يحتاج حتى للمراحيض

مجلس القاضي

كنت يوما في محكمة عمان فجاءني رجل اقامت عليه زوجه الدعوى بطلب النفقة يطلب مني مساعدته فقلت له اجبني بالله هل انت قائم بوظيفة الزواج حق القيام قال دعني فاني مريض ليس لي قوة على ذلك قلت له الديك من المال مايكفي اعاشة الزوجة قال والله اني لااجد ثمن مااتبلغ به فصفعته على قفاه وقلت له اذهب ما دمت لاتحط ولا تنط وقلت :

من شاء يحيا سعيدا دائما أبدا   مع زوجه وهو عن أعمالها راضي

شيئان أيهما قد صحَّ في يده   كافٍ لابعاده عن مجلس القاضي

خير و(شيء...) وان صحا معاً فله   سعد السعود وبالٌ ناعم (فاضي)

خداع ومخدوع

الى مَ أنت بطيب القلب مدفوع   والناس قسمان خداعٌ ومخدوع

طبيعة الشر في الحيوان قائمة   غريزة وهو بالاجرام مطبوع

وشيمة الخير تبدو في مظاهرنا   والشرُّ في سرنا المَطويّ مشروع

كلُّ امرىءٍ صائد والمال بغيته   والصيد عند جميع الناس متبوع

فصاحب الحظ قد يودي به تخم   وسيء الحظ قد يودي به الجوع

سبحان من قسَّم الارزاق انَّ له   في خلقه حكمة والرزق مقطوع

الساعي بالشر لئيم

لئيم الأصل من يسعى بشرٍّ ... ليفسد من دناءته الجماعه

وشر منه من يصغي اليه ... وحسب الشر أن يلقى سماعه

الممات انفع للذكرى

وقلت وقد لامني بعض اصدقائي على سكوتي مدة وذلك سنة ١٩١٥ اثناء الحرب العالمية الاولى وكنت ضابطا في الجيش العثماني .

علام بني عمي بلوميَ أسرعوا ... ألم أكُ قبل اليوم بالحقِّ أصدع

ألم يكُ لي في كل ناد مقالة ... ترددها الأقوام والشرق أجمع

تعدون لي ياقوم صمتي نقيصة ... ولم أكُ في صمتي من الموت أجزع

اذا لم يكن من بعد قوليَ ثورة ... لشدَّتها صُمُّ الجبال تصدَّع

فماذا يفيد القول والجُلُّ منكم ... غدا مثل عير الحي للذل يَخْضَع

أذكركم يا قوم بالحيف دائماً ... وأغلظ في قولي وحيناً أقرِّع

وأنتم كاهل الكهف جسما وهيكلا ... ولكن بلا حسٍ فمن ذا أسَمِّعُ

وَكَلْنا الى الأغراب كل أمورنا ... وصرنا عبيداً بالمقارع نُقْرَعُ

لنا عتبات الباب في كل مجلس ... واجلافهم فوق الدسوت تربعوا

وكم أهلكوا بالجوع من غير رحمة ... نفوسا لها قلب الوحوش يُرَوَّعُ

وكم من فتاة زيَّنَ الطهر نفسها قضت يومها بالجوع والعين تدمع

وليس لها باب لتحصيل رزقها ففي يومها الثاني على الرَّغم تخضع

يُباع عفاف البنت في السوق ويحنا على مشهد منا نراه ونسمع

ونحن نرى هذا ونرضى كأننا عجائز قوم بالخُطوب تُرَجِّعُ

فان كنتم من نسل عدنان فانهضوا الى رفع هذا الذل عنكم واسرعوا

فاما حياة لاتشاب بذلة واما ممات فهو للذكر أنفع

الى فتاة الهاتف

لما بدلت الحكومة السورية الهاتف اليدوي بالهاتف الآلي سنة ١٩٤٧ جعل الناس يتندرون مع اصدقائهم ويعاكسونهم دون أن يعرف المخاطب شخصية مخاطبه وكان المجان والماجنات من فتيان وفتيات دمشق يداعبون الناس خصوصا من عرف بين قومه انه من اهل التندر وقد تسلط عليَّ بعض الآنسات الناشئات فجعلن يداعبنني في كل فرصة يجدنها وكنَّ خفيفات الروح ليس فيهن غلاظة وكن لطيفات الحديث وطلبن مني يوما ديوان عمر بن أبي ربيعة وظهر لي منهن انهن اديبات احببن مداعبتي فقلت هذه القصيدة ونشرت في مجلة الدنيا وبعد نشرها انقطع عني حديثهن :

شيخ تغازله ليلا وفي شغف خود ورفقتها من أتحف التحف

يا من تداعبني بالهاتف اتئدي فالعشق أوردني أو كاد للتلف

الصوت في أذني كالناي يطربني والجسم كالجن في جوف الظلام خفي

يسري بي الفكر في بيداء مظلمة حتى غدوت بها أوهى من الألف

أصواتكن لها في السمع دغدغة وهمسكن به شيء من الشرف

عشرون آنسة يضحكن في مرح … في كل آونـة ما ذاك بالصُدَف
من التي سألتني الأمس عن عمر(١) … تروم ديوانـه مني ويـا أسفي
لِمْ لاتطالبني تلك الفتاة تـرى … بشعر أشياخها فخري أو النجفي(٢)
فابن الربيعة ذكرى في خواطرنـا … ونحن والله أولى منه (بالرَهَف)
لا يفزعنَك شيـخ في صبابتـه … جـاز الشباب بقلب مغرم دنف
يخفي وقائعه عـن سمع كل فتى … حر أبيّ كـريم مبدع الطُرَف
تخشينَ لقياه في عصر لكنّ بـه … مكانة مارآها الناس في السَلف
تطلبن منـه مساواةً بعجرفـة … وتختبئن بهذا العصر في الغُرَف
أتتْنَ باقة زهرٍ والربيـع بهـا … عَليّ قدجادأم أتتن فيّ النَصَف(٣)
ان كنتِ زنبقة زوري ولا تخفي … مني والا فحلّي اليوم عن كتفي
الغيـد درٌ بجيد الدهر مرتعش … وتحفة" حيّة" من أنـدر التُحف
ماقيمـة الـدرّ امّا ظل مستترا … فالدرّ في الجيد غير الدر في الصدف
هيا اذاً نجتمع رغـم العذول غدا … والهجر ان طال يدعو الناس (للقرف)
ولنترك الهمس فالأسلاك تزعجنا … والهمس يودي بقلب الصبّ (للتلف)

---

(١) عمر بن ابي ربيعة .
(٢) النجفي هو الشاعر المشهور احمد الصافي النجفي .
(٣) النَصَف : المرأة في منتصف العمر .

حديث الى الأطفال

كان حسين جاهد الاديب التركي وزير داخلية الدولة العثمانية بعد الانقلاب الحميدي ، وصاحب جريدة طنين ، زار مدينة جنيف في سويسرة سنة ١٩٠١ وكانت معه ابنته وبينما هما في احد الشوارع شاقتها وردة فقطفتها من شجرة الشارع واذ بالخفير يتصدى لها سائلا لماذا قطفت هذه الوردة ؟ هل هي لك ؟ قالت لا بل هي للبلدية فقال الا تعلمين ان هذا ممنوع قالت انا غريبة من تركيا لا اعرف عادات البلد فقال اذن اذهبي فانت من الشرق من الشعوب السخيفة المنحطة ليس عليك من عتب فذهبت مخجولة ووالدها كاد ان يتمزق فؤاده من التأثر فكتب على هذه القصة اربعة عشر مقالا افتتاحيا في جريدته طنين تحت عنوان زهرة الشارع ولما لجات الى عمان في الحرب العامة الثانية ارسلت الى راديو القدس حديثا للاطفال في شتاء سنة ١٩٤٠ تحت عنوان « زهرة الشارع » ونظمت بالحادثة الابيات الآتية وارسلت الحديث مع القصيدة باسم العم المجهول :

جاهد وابنته نور الهدى ... لقضاء الصيف مرا ب (جنيف)

ذات يوم مشيا في شارع ... فاتن ملآن بالزهر اللطيف

فاشتهت بنت الوزير زهرة ... أعجبتها حينما كانت تطوف

أقدمت واقتطفت من جهلها ... وردة من ذلك الورد الكثيف

واذا الحارس من مكمنه ... راكضا يسعى اليها (يالطيف)

عندما قابلها خاطبها ... بازدراء القول في وجه مخيف

لِمْ قطفت الورد هذي سرقة ... ليس يأتيها سوى النذل الضعيف

فأجابته بصوت خافت ... اننا أغراب في هذا المصيف

نحن أتراك وفي أوطاننا ... مثل هذا عندنا أمر طفيف

قال في الحال اذهبا انكما	من بني الشرق من الشعب السخيف
أطرقت من قوله واختجلت	وعلا الدمُ محياها الظريف
مضيا في حيرة بل ذلة	لاعنين الحظ والعقل الخفيف

* * *

أيها الأولاد هل لاحظتم	أثر التقريع في الدرس العنيف
لاتسوا زهرة في شارع	باسق الأدواح أو داني القطوف
واذا ما سرتسوا في شارع	فخذوا يمناكموا فوق الرصيف
ان مجد العرب مجد تالد	فاحرصوا كي تكسبوا المجد الطريف

يوم الفراق

من غرائب القدر ماحدثني به السيد عمر العمري قال صحوت يوم وفاة المرحوم ابني احمد الذي دهسته السيارة وانا اردد هذا البيت :

ان يوم الفراق قطّع قلبي	قطّع الله قلب يوم الفراق

قال : ورآني احمد اردد البيت وقال : ماذا تقرأ؟ قلت بيتا رايت نفسي انشده في الرؤيا وهو هذا فجعل المرحوم يردده وذهب السيد عمر بك الى عمله وبعد اربع ساعات من ترديد البيت اتاه الخبر بالحادث وهو أن سيارة كانت مسرعة صدمت ولده وهو على دراجة نارية فاردته قتيلا بالحال وطلب مني ان اجيز هذا البيت بابيات تكتب على شاهدة قبر المرحوم احمد فقلت :

« ان يوم الفراق قطّع قلبي	قطّع الله قلب يوم الفراقِ »
قر عينا ونم بمقعد صدق	أحمد الخير في حمى الخلاقِ
وقريبا سنلتقي بخلود	دائم الصفو سرمديّ التلاقي

وكتبت الأبيات على الشاهدة وهي باقية الى اليوم .

لـؤم الطبـع ارث

بلغني ان احد اخصامي يشتمني في المجالس ويسمى صبري فقلت :

يقول الناس لِمْ لَمْ تهج صبري   أغـابت عـن نباهتك الحقيقـه"

ألـم تسمـع كلاما فيـه طعن   مَشين" ضد أسـرتك العريقـه

ألـم يبلغك شتمك كـل يـوم   فقلت بلـى وحملتـه الصفيقـه

وأوقـاتي لهـا ثـمن لـهـذا   حـرام أن أضيـع بـه دقيقـه

ولـؤم الطبع في الانسان ارث   تسلسل في الورى منذ الخليقه

ســد حلقــي

اغار بعض الأعراب بقيادة الشيخ سلطان الطيار على طرش بلدة جنين فاستاقها مع طروش الفرقة العسكرية ٢٧ المخيمة في فلسطين فارسلني قائد الفرقة لتعقيب الأعراب ودفعهم عن قضاء جنين وكنت قائدا للسرية الاولى من الفوج الثالث اللواء ٧٣ ولما عرف الاعراب بقدوم السرية غادروا القضاء مع الطروش وكان الجيش التركي آنذاك في اشد الضيق من قلة الأرزاق وتعرفت بالعقيد بكر صدقي فنظمت هذه الأبيات وقدمتها الى بكر صدقي بك القائمقام العسكري قائد المنزل في جنين سنة ١٩١٦ فأمر لي بعد قراءتها بأرز وسكر وسمن وما كان عنده من المؤونة التي حرمناها مدة طويلة أيام الحرب .

أمير الفضل والاحسان يامن	بحمدك لايفي قلمي ونطقي
عليك عقدت آمالي واني	سئمت العيش في تحصيل رزقي
ألم يكف التشرد في قفار	وأسفار بها قد ساء خلقي
شهور في الخيام مضت بحر	وقرٍّ بل وفي رعدٍ وبرق
(ووزوزة) البعوض بدون ضوءٍ	بجنح الليل مع قمل وبق
ولا ذهب غدا بالجيب أصلاً	ولا (متليك(١))حتى زاد حمقي
وفي هذى البلاد غدا التعاطي	بأوراق ولكن دون ورق
وحاجات الطعام كفاك ربي	مغبتها فدوما في ترقي
حرمت الأكل مقليا بسمن	ونفسي تشتهي محشي(السجق(٢))

(١) المتليك : قطعة من العملة تساوي ربع قرش .
(٢) السجق : مصارين الخراف المحشوة باللحم .

وبعد العز بئس العيش جوعا ... أفضل عن حياة الجوع شنقي
ولا حلوى بها أشفي سقامي ... فهل يرضى بهذا (بكر صدقي)
وها أنا أطلب الانصاف مما ... عراني حيثما قد ضاع حقي
فكن عوني على الأيام كيما ... أخفف (تتفة) من ضيق خلقي
ومر لي ياأبا العليا برز ... وأقة سكر لأسد حلقي

الدين نصيحة

كان لي صديق عزيز توفي وخلف غلاما اسماه «نجاة» فنشأ هذا الغلام بعد موت ابيه في حضن والدته وهو ذكي الفؤاد جميل الصورة خفيف الروح وبعد ان انهى دروسه الابتدائية لم يقدر على اتمام تحصيله فاضطر للعمل ولما صار في ريعان الشباب وظهرت فيه خفة الروح حام حوله « ابناء آدو » وصار يخرج ليلا من داره فيقضي السهرات خارج البيت ووالدته عجزت عن ردعه فكلفتني ان اسدي له النصيحة فكلمته مرات فلم يرتدع فارسلت له القصيدة الآتية عسى ان يعتبر بها .

ان كان نصحي به لوم فلا عجب ... فأنت من ولدي والله يحميكا
وغير صحب أبيك اليوم لست ترى ... في الكون شخصا بلانفع يواليكا
(نجاة) مهلا وفكرْ دون ما غضب ... ولو سمعت كلاما ليس يرضيكا
(نجاة) اني أخاف القيل في بلد ... أبناء عمك فيها من أعاديكا
كزهرة أنت تبدو من كمامتها ... نسيم قيل به البهتان يؤذيكا
أراك في الليل كالوطواط مضطربا ... لاتستقر على غصن بواديكا
وأنت في كل يوم تابع فئة ... في العمر والقدر والاموال بذوكا

(نجاة) صحبة غير الكفء مفسدة　　من بعدها العار ربي منه ينجيكا

وصاحب الكفء يبقى العمر محترما　　ان سيدا كان أو ان كان صعلوكا

وان صحبت فتى أخلاقه فسدت　　حتى الأحبة في ذا الألف لاموكا

فاحرص على شرف مثل الزجاج اذا　　شعرته ليس تلقى من يواسيكا

وقول كلثومنا العتبى فيه لنا　　جميعنا عبرة والله يهديكا

« يوم يعيذك من سوء تقارفه　　أبقى لعرضك من قول يداجيكا »

« وقد رمى بك في تيهاء مهلكة　　من بات يكتمك العيب الذي فيكا »

طـق الحنـك

لما كنت ملتجئا الى عمان وسكنت شونة العدوان في الشتاء ارسلت هذه القصيدة من الشونة الى اخواني في عمان احمـد الشرباتي وحسن كحالة واحمـد الشلبي وعمر العمري وحمـدي الصفدي وداوود التكريتي وبهاء الدين طوقان وكان احمد الشرباتي متعهداً لصيد السمك من العقبة وبيعه في فلسطين .

يـامن رمـاني بالشبـك	وبلحظـهِ ستري انهتـك
من بعـد ما فـارقتـكم	جملي بحمـلي قد بـرك
النـور أضحـى بعـدكم	في ناظري مِثـل الحـلك
يا أحمـد الأفعـال مـن	بعـروض دنيـاه انهمـك
اعمـل لربـك سـاعـة	يا ابن الكرام (وساعه) لك
انـي بشـوق زائـد	قسما بمن رفـع الفلـك
للقـاء صحبي كلـهـم	الجامدين ومـن حرك
أهـل الصبـابة والصفـا	ممـن تزنـدق أو نسك
والى سميّك (احمد الشلبي)	الـحبيـب المشتـرك
وحبيبنـا حسن الـذي	يهوى حساء «المرجمك[1]»
وصديقنـا (مـا غـيره)	عمر « قمندان[2] » الدرك
وطبيبنـا رشدي الذي	يشفي المريض اذا هلك
ورفيقنـا حمـدي أبـو	صياح ذاك « الدنبلك[3]»

---

(١) المرجمك : العدس اخذناها عن الاتراك .

(٢) قمندان : قائد .

(٣) الدنبلك : الدربكة المعروفة .

انـي أعيش بـدونكم	عيش الضفادع في البـرك
فأنـق مـن ألـم الفـرا	ق وأنت مثل «الزنبرك[1]»
أصبحت «كالمكوك[2]» ما	بـين الشـريعـة والكرك
ان لـم تـزرنـي مـرة	فـلأنت خـائن دون شك
أثبتِ بأنـك فـي طـر	يق الحب أحسن من سلك
واحضـر غـدا لزيـارتي	وجميـع اخـواني معـك
هاتوا البنادق « والجفـو	ت[3]»وأحضروابعض«الفشك[4]»
وأتوا بمـا يحـلو لكـم	من لحم ضأن أو « بُرَكْ »
وشـرابكـم ونقـولكم	واصحوا ولاتنسوا السمك
وأنـا علـيَّ بـأنـني	اشبعكم (طـقّ حنَكْ)

---

(١) الزنبرك : كلمة فارسية وقد وضعوا لها كلمة النابض .
(٢) المكوك : تركية آلة للحياكة معروف .
(٣) الجفوت : جمع الجفت : تركية بمعنى البندقية .
(٤) الفشك : تركية بمعنى ذخيرة البندقية الطلقة .
(٥) البرك : نوع من الطعام معروف .

وطني احببت مجدك

حضرت ليلة ساهرة في «الريستوران فرانسيز» في بيروت ورايت الشبان يرقصون بكل تخنث وقد حمّر بعضهم الشفاه مثل البنات، فقلت معارضا قصيدة الاخطل الصغير (عش انت اني مت بعدك) التي طلب معارضتها آنذاك وعارضها عشرات الشعراء وارسلتها ونشرت في جريدة الاحرار سنة ١٩٢٥ .

يا ابن البلاد هديت رشدك	باللهو قد جاوزت حدك
ليس التمدن ما أتيت	علامَ فيه تطيل جدك
والرقص في الحانات اذ	منطقت خصر الغيد زندك
متماوجين فجزرها	كيف انثنت اتبعت مدك
تهفو اليك اذا ابتعدت	بصدرها كي تستردك
هل نهدها المرتج ما قد	شمته أم شمت نهدك
لم أدر أيكما الفتى	حتى نظرت عليك بردك
يا من وقفت مع الفتا	ة تهز كالاغصان قدك
ومشطت شعرك فازدهى	وفرقته وصقلت خدك
وكسرت جفنك مظهرا	ان الشراب أضاع رشدك
وفخرت في لغة الاعاجم	هل ترى أنكرت جدك
ووقفت جهدك للفرنج	مداهنا فأضعت جهدك

عطفوا عليك بقولهم وفؤوسهم تشتق لحدك
أيحب موطنك المقدس من غدا بالفعل ضدك
أعرضت عنه وفيه كانت تغمر الاحلام مهدك

* * *

وطني سأقضي دون مجدك اني أحببت مجدك
أغلقت قلبي دون غيرك فالفؤاد اليك وحدك
اني أحاذر أن أموت جوى ولم تبلغ أشدَّك
ما ساد فيك وان سما حرٌ اذا لم يُمْسِ عبدك
أنا لا أخاف مزاحماً أفدي عذولا صان ودك
ياليت كل الناس مثـ ـلي يحفظون العمر عهدك

من وحي الانقلاب

بعد وقوع انقلاب سنة ١٩٤٩ وسفر رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي الى القاهرة ، بعد الافراج عنه قلت :

ياشارباً من كأس غفلة	قم واستفق فالعمر وهلة
لايخدعنك بالمنى	دهر يشد عليك ظله
الدهر يعبث بالورى	في لمحة يودي بدوله
عبث الوليد بدمية	كانت على الأيام شغله
ان شاء قبّل خدها	أو شاء حطمها بركله
يعطي ويمنع ليس يد	توحي بذا أو ذاك عقله
وتراه ان أعطى وان أك	ـدى بلا سبب وعله
لايرتجي مدح امرىء	بالحمد يكبر منه عدله
هونا ولا يخشى من المظ	ـلوم بالحرمان عذله
فلقد تساوى عنده	بالقدر سلطان ونمله
ان جاء دهرك قم له	أو جار يوما أنت تم له

يحرث بالرمال

لما كنت في عمان ملتجئا زارني صديقي ابراهيم باشا هاشم رئيس وزراء عمان ورأى عندي ديكا وثلاث دجاجات صفار فاحب ان يهديني كم دجاجة بياضة فأرسل لي اربعا وصدف ان الدجاجات التي احضرها خادمه كانت مسنة غير صالحة لا للبيض ولا «للحيض» وبعد ان علفتها شهرا ولم استفد منها امرت الخادم أن يذبح منها واحدة وقلت ان الدجاجات ليس منها فائدة لعقمها فلناكلها وذبح دجاجة ونظرا لعتقها فقد بقيت على النار ثلاثة أيام لم ينضج لحمها بالرغم عما اوقد تحتها من نيران .

وقد صدف ان الخادم عندما أحضر الدجاجات كان بعض الاصحاب وهم زيادة عن خمسة عشر رجلا يطرقون بابي وهم يريدون زيارتي ومن الصدفة ايضا ان جاري شمس الدين بك سامي الجركسي كان مريضا وكان الناس يأتون لعيادته بكثرة ولما فتحت الباب ورايت هذا الجمع من الاصدقاء وزوار جاري الصاعدين منهم الى داره والنازلين منها وهم منتشرون في الجبل حضرتني النكته وقلت للخادم سلم على الباشا وقل له وصلت الدجاجات وهاهم الاخوان الحاضرون وهؤلاء الناس جميعهم مدعوون لعقد نكاح الديك على هذه الدجاجات وقد تشرفت بمصاهرة الباشا وسوف نقدم له المرطبات بعد عقد النكاح ونظمت هذه القصيدة وقراتها للأمير عبد الله بن الحسين بحضور ابراهيم هاشم وقضينا عليها سهرة لطيفة :

أخي ابراهيم يارب الكمال	ويازين المحامد والخصال
هديتك اللطيفة حين جاءت	رأيت الناس تركض في الجبال
وأهل الحي في هرج ومرج	ولعب السيف والسمر العوالي
ولم ترد الهدية حين قاموا	بهذا العرض ياباشا ببالي
ولكن عندما وقفوا ببابي	ودقوه قبضت على سبالي

وقلت مفكرا ماذا دهاني | وما للقوم ياربي ومالي
ظننت بأن «طارق»(١) قد أتاني | بشرطته وغايته اعتقالي
أو الأهلين قاموا باحتجاج | على ذنب أتيت من الفعال
وبعد تردد مني قليل | فتحت الباب منكمشا بحالي
ولكني سررت وقد أتتني | دجاجات كربات الحجال
فقمت مرحباً بالناس حالا | وكنت خطيب ذاك الاحتفال
وقلت لديَّ يا اخوان ديك | جميل الشكل يُزري بالغزال
بديع الصوت من أصل ذكي | تحدر من دجاج بني هلال
وليس له بعمان شبيه | تربّى بالرفاهة والدلال
له عرف هو المرجان لونا | كتاج صيغ في شكل الهلال
وعفرته اذا رصّفت حسبتم | شعاع الشمس يرصف باللآلي
فان يقبل تبختر باعتزاز | وان يدبر تهادى بالدلال
وان غنى فصوت لايبارى | «كثومة(١)» حين تشدو بالليالي
يؤذننا قريب الصبح دوما | ويوقظنا لنعبد ذا الجلال
فان هيجته قل عنه نسر | قويٌ مستعدٌ للنضال
تراه أدار عفرته فصارت | كدرقة فارس عند النزال
يصفق في جناحيه سرورا | لطرد الخصم من بعد القتال

---

(١) طارق بك الجندي مدير شرطة عمان آنذاك .

(١) ثومة : ام كلثوم كوكب الشرق وبلبل العرب .

له عين صفت كصفاء قلبي ... لأوطاني على مر الليالي

* * *

ولما كان هذا الجمع جمعا ... عظيماً ضم أخيار الرجال

وأحسن من أصاهره بحق ... هو (ابراهيم باشا) ذو المعالي

فقد انكحتهن الديك جهرا ... ليأتي نسلهن بني حلال

معجل مهرهن عظيم شكري ... وحمدي للمؤجل وهو تالي

ليحصل عندنا منها فراخ ... كرام الأصل من عم وخال

وأهلاً بالألى قد شرفونا ... من الاخوان في خير احتفال

* * *

فراح الناس يثنون ابتهاجاً ... بما لاقوه من حسن المقال

وحين بقيت في داري لوحدي ... وراح القوم من تلك (الحوالي)

ولاحظت الدّجاج به هزال ... برغم الريش يبدو كالخيال

فرُزت دجاجة وعجبت جداً ... لما لاقيت من أثر الهُزال

وعاينت البقية فاعتراني ... دوار منه قد ضاق احتمالي

* * *

وقلت أهن من صحراء سينا ... أتين يزرنني قبل الزوال

ورحت أحيطهن بكل عطف ... كما تحنو الشياه على السخال

خزنت لهن عندي ألف كيس ... من البر (الصليب) الى (النثحال)

ومن عظم الى صدف ولحم ... ومن صافي الدماء الى الطحال

واشكال يزيد المُخ منها ... واخرى للقشور وللزلال

واني أشبع الغرثى وحالي ... أرق من الهبايا ويح حالي

وفي شهر على علف نظيف ... صرفت وحق ذقنك نصف مالي

وصار الديك ينزو كل يوم … من الصبح المبكر للزوال
له في كل يوم ألف (بكة) … ينط على الجميع ولا يبالي
ومع هذا فلم يحملن منه … كأن الديك يحرث بالرمال
يقاقين الصباح بدون بيض … وما نفع الدجاج بلا نوال
من الطوفان من أيام نوح … قطعن الحيض في الحقب الخوالي
ذبحت دجاجة فرأيت لحماً … قديداً لا يُقطّع بالنصال
وَقَدنا النار تحت القدر حتى … سئمت العمر من كثر الملال
وَقَدت على الدجاجة طن فحم … ونصف الطن من حطب الدوالي
وما في الدار من خشب وغاز … وسعر الغاز في عمّان غالي
نهار ثم آخر ثم تالٍ … ثلاثة أنهر غير الليالي
غلامي أوقد النيران دوماً … بلا نوم فضجَّ من الكلال
ومع هذا فلم تنضج كأنّا … نحاول طبخ زوج من نعال
أقلني يا أخي الباشا عثاري … وخلصني بلا قيل وقال
فجد كرماً عليَّ بطن فحمٍ … ومن علف الدجاج (بكم شوال)
والا خذ دجاجك عن (سمائي) … فقد أفلست يا ابن الحلال
فجسمي خانه صبري فأضحى … على جلدي قليل الاحتمال
فان تَحْبُ الدجاج به هزال … فاني كم حبوت من الجِمال
وحرماني من اللذات دهرا … أحب اليَّ من ذل السؤال

وقد ارسل لي بعدها عشر دجاجات من أبدع الدجاج .

الى رجالات العرب

وقلت في عمان بعد اعلان الحرب بين المانيا وبولونيا في ١٩٣٩/٩/٥ وقد أرسلت منها نسخا الى امراء العرب وملوكهم بوسائط مختلفة ومع شديد الاسف لم اتلق جوابا من احد وقد قرات القصيدة على الامير عبد الله ابن الحسين بنفسي وذلك اننا كنا في سهرة حافلة في المقر العالي فأخذ الأمير يشكو من سكوت العرب في هذا اليوم وتقصيرهم بما يجب عليهم ازاء هذه الحرب وكان في جيبي نسخة عن القصيدة التي حوت اكثر ماكان يشكو الأمير فاخرجتها وقلت ايسمح لي مولاي بأن اسمعه هذه القصيدة التي حوت اكثر مايفكر به قال قل . فقلت :

علام قومي في نـوم وفي كسل ... والغرب كاد ينيخ الرحل في زحل

فالغرب والعُرب هذا سائر" صعدا ... أما أولاء فما زالوا على الجمل

فالطـائرات نراهـا في تقدمها ... تكاد تحتل حتى دارة الحمل

نرى الفرنج أجادوا كل نـاحية ... درسا وهم عن غثيث القول في شغل

ومنهمو من يقضّي العمر منصرفا ... للاختراع بـلا كـلٍّ ولا ملـل

هـذا يعالـج بلورا ليجعـله ... للناس لبسا بديل القطن في الحلل

وذاك يعمل في (راديو) يُحَسِّنُهُ ... كي يجعل الصوت مسموعا بلاخلل

وغيره يدرس الامراض مكتشفا ... مصلاً ليشفي به العلاّت بالعلل

والكهربـاء أتوا فيهـا بمعجزة ... بل معجزات تثير العُجب في الرجل

ونحـن نحن أعزَّ الله شأنـكم ... سلالة المجـد من بكر ومن ثعل

ودارنا في ذرى العليـاء من مضر ... نحمي حمى المجد بالاقوال لا العمل

* * *

قد خصنا الله دون الناس كلهم بالحقد والكيد والبغضاء والجدل
تبجح وادعاء فيه غطرسة نعيش بالوهم والتضليل والكسل
وكلنا بطل والله يحفظنا لكننا ليس فينا اليوم من بطل
سبعون مليون رأسٍ كلنا عرب وكل رأسٍ رئيس القوم كالبصل
لذاك صرنا عبيدا في مواطننا تجتاحنا أي ما شاءت من الدول
ألا نحسُّ بوخز في ضمائرنا مما نعانيه من فقر ومن علل
ألم نكن نحن والاتراك في وطن اخوان بؤس ندير الملك بالخطل
في ظل مملكة كانت كمأكلة تساس بالجهل والاطماع والحيل
وعندما فارقونا رغم قلتهم بالاتحاد غدوا في أول الملل

❋ ❋ ❋

من دون جيش ووحدات منظمة لاخير في أمة تبكي على طلل
فوحدوا صفكم وامشوا بنا قدما ونظموا جيشكم في السهل والجبل
ان لم نكن كتلة فالحرب تهلكنا والشر للشرق في الاحزاب والكتل
فالحرب قد نشبت في الغرب واتقدت وسوف تأتي لنا بالحادث الجلل
يا أيها العرب أنتم دائما هدف للفاتحين وما في الضعف من أمل
وهذه الحرب ان حطت مراجلها ونحن بالضعف باد العرب للأزل
ان الضعيف مهان في مواطنه وان تكاثر عدداً عاش كالخول

❋ ❋ ❋

أليس يوجد بين العرب ذو ثقة يدعو لمؤتمر حالاً على عجل

ليدرسوا حالة العَرب الذين نسوا		معنى الرجولة من حـافٍ لمنتعل

ويجعلوا بحثهـم في كل ناحيـة		من غير دس ولا ختل ولا دخـل

حتى اذا ما رأوا رأيا بلا خطـل		خطّوا لنا خطّة تنجي من الشلل

نمشي عليها كمشي الغرب في وضح		من النهـار واياكم من الجـدل

بالاتحـاد وفي تحـديد موقفنا		بسرعة تنقـذ الاوطـان بالعمل

وهـذه فرصة والله ما سنحـت		أمثالهـا لبني عدنـان مـن أزل

اني نصحت وها أني أناشـدكم		أمـانة الله بالاوطـان والرسـل

وان عجـزتم سألت الله يرحمنـا		فنحن موتى وان عشنا مع الملـل

قلبي مرتـع الغزلان

تأخرت عن عادتي بزيارة الأمير طلال فارسل لي غزالا مذبوحا في أحد الايام بعد عودته من الصيد فارسلت له هذه القصيدة في سنة ١٩٤٠ .

هديتـك اللطيفـة يا طـلال ... بهـا معنى يقـدره الرجـال
أتتني مـن سموك في زمـان ... بـه الاحرار حظهـم النكال
فانعـم بالهـدية مـن أمـير ... تكوّن مـن شمائله الكمـال
فيازين الشباب فدتـك نفسي ... وأهـلي والأحبـة والعيـال
اذا قصّرت نحـوك لاتلمني ... فهمّي ليس تحمـله الجبـال
فمالي عن رحابك من بديـل ... ولو ان البديل هـو الهـلال
فلا يغضبك تصريحي برأيي ... سكوتي عن جريتكم ضلال
أ أملأ معدتي من لحم ظبيٍ ... وفي ألحـاظه ضُرب المثـال
اذا الغـزلان صادتها أسـود ... فكم ذا صـادني منهـا غزال
فلو أهديتنيـه اليـوم حيـاً ... لمـا لعبت بجثتـه النّصـال
وكـان اليوم عندي في أمان ... تحوط به الكرامـة والدلال
وكنت جعلت مسكنـه فؤادي ... وفي حركـاته رتع الخيـال
لشدة شبهـه بحبيب قلبـي ... فهـل فيما صدقتك ما يقـال
فقلبي مرتع الغـزلان أضحى ... وعين الصبّ مرتعهـا الجمال
فحاذر أن تصيد العمر ظبيـاً ... غريرا فالعيـون بهـا نبـال
وصد ما شئت من طير الحباري ... وعش للعرب ذخرا يا طـلال

وبعد أن قدمت له القصيدة وعدني انه بعد هذا اليوم لايصيد الغزلان .

في عمّــان

فررت من دمشق خوفا من الافرنسيين الذين وضعوا عمـدا سلاحا حربيا في كاراج داري في قرية الجرباء ليسجنوني بسبب ذلك . فهـم وضعوا السلاح وهم صادروه وذلك يوم الثلاثاء في ١٦ آب ١٩٣٩ فاختفيت عندما بلغني ذلك في دار احد اصدقائي ويوم الجمعة في ١٨ منه، غادرت دمشق الى درعا فوصلتها قبيل الصبح ومن هناك بدلت السيارة ودخلت منطقة شرقي الاردن والتجات الى قائد مخفر الرمثا وبعد المخابرة مع مساعد القائد العام عبد القادر باشا الجندي اخذ مني قائد المنطقة مائة وعشرة قروش وهو الجزاء القانوني الذي يتوجب على كل من يدخل المنطقة بلا تصديق جواز سفره فصدق على جوازي وسمح لي بالسفر الى عمان فوصلتها في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت الواقع في ١٩ منه ولما لم يزرني احد من قبل الامير عبد الله عزمت على عدم زيارته لأن محيطه كان من الذين يميلون الى الجبهة الشعبية في دمشق وجميعهم يعادون رجال الكتلة الوطنيـــة وانا معدود منهم وقد فهمت انهم اوغروا عليّ صدره ولما كان بودي الذهاب الى العراق قلت في نفسي بما ان الأمير لم يسأل عني وانا معدود من انصار البيت الهاشمي فلا لزوم لطرح نفسي عليه ولكن الاحقاد لعبت في نفوس اذنـــاب المستعمرين وابلغوه عني اشياء لم افكر بها وساعدهم على ذلك تمنعي عن زيارة الأمير وقد اتخذوا من ذلك اسبابا للدعاية ضدي فأوقعوا بي وتخرصوا عن لساني باقوال لم اقلها او حرفوا منها ماشاؤوا حتى غضب الأمير عليّ غضبا شديدا واصدر امرا يمنع الناس من مخالطتي وقد ظن الأمير بي الظنون الكثيرة وكان من اثر ذلك انه امر صديقي السيد بهاء الدين طوقان بالغاء الدعوة التي كان اقامها لي واذا لم تلغ الدعوة فانه يطرده من الديوان وكان موظفا في ديوان الامارة وقـد حار الرجل في امره وافهمني السيد حمـدي الصفدي ذلك فاعتذرت من طوقان عن الذهاب الى الدعوة بوعكة مصطنعة وحلت المشكلة ولكني لم اكد امشي في السوق حتى تعقبني احد رجال الشرطة ببزتــه الرسمية وجعل يقف اينما اقف ويسير اينما أسير فلم احفل بـــه وجعلت افتش عن سيارة تسير الى بغداد لأرحل عن عمان وبينما انا كذلك اذ بمدير الشرطة السيد طارق الجندي يدعوني الى دائرتــه فذهبت الى مقابلته

فأبلغني انه لايحق لي مغادرة عمان الا بأمر من الحكومة فقلت له يعني أنني موقوف لديكم ، قال : لا . ولكن هكذا ارادت الحكومة وهذا مما لاشأن لي به وانما انا ابلغكم اوامرها فقلت لاباس ولكن قل لسمو الأمير ماقاله الشاعر . . . اذا كنت مأكولا فكن انت آكلي - وقل له ايضا انني افضل الف مرة ان أسجن عند ابن الحسين حفيد النبي من ان اسجن عند الافرنسيين الذين احتلوا بلادي بالقوة . وبعد يومين رايت ان الاشاعات الملفقة تدور حولي بكثرة واصبح كل من يريد التقرب من الامير يرى ان الوسيلة الى ذلك الايقاع بي والتقول عليّ حتى ان السيد حمدي الصفدي لم يعد يتحمل هذه المهازل فذهبت الى رئيس الوزارة وهو يومذاك السيد توفيق باشا ابو الهدى وبعد البحث الطويل وجدوا ان احسن طريقة لحل هذا الأمر الذي كاد ان يكون مشكلة دولية لسخافة عقول الموقعين بي والمستمعين لهم وقد كانت الطريقة هي ان اذهب الى الديوان واقيد اسمي واعود الى الفندق وبعدها يأتي رئيس الديوان الى الفندق فيرد زيارتي ثم بعدها ازور سمو الأمير وعلى هذا الشكل الذي اتفقنا عليه سرت الى الديوان وزرت رئيس الديوان وهو يومئذ محمد باشا الأنسي ورجوته ان يقيد اسمي في دفتر الزيارة ورحبوا بي ترحيبا لائقا وبعد تناول القهوة ودعتهم وخرجت ولما صرت عند الباب الخارجي وجدت صديقي الشيخ فؤاد باشا الخطيب آتيا من خارج الديوان فسلم علي كمادته واخذ بيدي واعادني الى الديوان للتحدث معه واذ بأحد المعية يقول ان سمو الأمير يطلبني فلم يعد بالامكان الا الدخول فدخلت عليه وقام ورحب بي قائلا ماهذا يافخري ليس هذا أملنا فيك فقلت ياسيدي انا اعدُّ من العائلة ولم ار احدا ممن في معيتكم يعيرني اي التفاتة تشجعني على المجيء فانقطعت عن الزيارة خوفا من ان يكون في قلبكم نحوي شيء مما بلغوكم اياه افتراء فاجابني انني لا اعتقد بما اسمع ولا اصدق احدا وجميع ما نقل اليك هو كذب لم يبلغني مجيئك الا في اليوم الثالث. فقلت ياسيدي أطال الله بقاءكم فاذا انا لم ادل على اهلي فعلى من ادل وليس هذا الا من باب الدلال فقام اليّ وقبلني ثانيا وهو يقسم انه يحبني وانه لم يعر اذنه الى احد وطلب اليّ ان انسى ما جرى ودعاني لتناول العشاء في غد ذلك اليوم على مائدته فشكرته وودعته وخرجت . وخوفا من أن يستفيد سيئو النية من اهل الغرض فيوقعوا بي عند سموه ثانية نظمت هذه القصيدة وفي مساء يوم الدعوة ذهبت الى المقر ولما تم تناول الطعام قلت ياسيدي انني نظمت قصيدة فهل يسمح لي مولاي بقراءتها فقال تفضل ، فقلت ، وذلك في ٢٢ آب سنة ١٩٣٦ :

لجـأت لعمـان فرارا من الاذى وخوفا من التوقيف عن غير طائل

وغـادرت أرض النيرين مودعاً ربوعـا بهـا خلّفت خير منازلي

ربوعـا بها لاقيت كلّ كرامـة كما انني لاقيت كـلّ تحـامل

فررت مـن المحتـل ظنـاً بأنني ألوذ بعبـد الله زين الشمائـل

فيمنعني مـن أن أضام بقربـه ويحمي ذماري من جميع النوازل

ولما أنخت الرّحل في ظل دوحه وقبل ارتياحي من عنـاء المراحل

تخرّص أعدائي بما لم أقـل به وأشياء عني لم تدر في مخايـلي

أرادوا بذا اقصاء فخري عدمتهم عن الدوحة الغرّا بشتى الوسائل

فقلت بنفسي دعهمو في عماهمو فمن عادة الايام كشف الحـوائل

ولا بد أن يدري الأمـير حقيقتي بعـاجل يـوم أو بآخر آجـل

وبينـا أنـا في ذا أفكر هـالني أمور تسيء النفس هزّتمفاصلي

وذلك اني قـد دُعيت بسرعـة الى مركز (البوليس) دعوة عاجل

دعاني رئيس الشرطة العامل الذي يُنفّذ أمر الحكم دون تمـاهل

فرحت مـع الشرطي أمشي ازاءه وقلت بماذا ياترى اليـوم سائلي

دخلـت فحياني بـكل تـأدب وبلغني باللطـف دون تساهـل

لزوم بقائي ضمن عمـان برهـة كـأني موقوف بتهمـة قـاتل

* * *

وقال قضى أمر الحكومة منعكم من السفر الوقتيّ خوف المشاكل

سكت قليلا حيث دار بخـاطري تشبث أعدائي بكشف مقاتـلي

وقلت أهذا الفعل فعل رجولة ... أليس لدينا غير قيل وقائل
أنحن نساء مالنا من مزية ... سوى الدس والتلفيق ضمن المنازل
ودعوى بلا جدوى وتهشيم بعضنا ... بدون حياء وهي شر المهازل
سوانا يقضي الوقت يدأب جهده ... بطائرة تجتاح أقوى المعاقل
واصلاح منطاد واحضار آلة ... تقي الناس في الهيجاء هول القنابل
ونحن على الأوهام نبني صروحنا ... أفي مثل هذا كان شغل الأوائل
وعُدت لنفسي بعد ذلك قائلا ... سكوتيَ بعد اليوم لابد قاتلي
فان لم أبادر دون أدنى تأخر ... لمولاي عبد الله رب الفضائل
فأخبره عن قصتي ومصيبتي ... وما حيك حولي من شراك الحبائل
سأصبح سندان الوشاة وربما ... غدوت حديثا سائرا في القبائل

* * *

اليك أمير العرب مني رسالة ... معطرة تعمي عيون العواذل
فتخبركم أني صديق لفيصل ... بحبي ودِ ليَّ اليوم بعض الدلائل
وما حرَدي الا فتور ظننته ... من الجانب العالي به سُرَّ عاذلي
وانك لاترضى لمثلي اهانة ... دخولي لعمان كبعض الارامل
خصوصا واني من صحابة بيتكم ... حفظت ودادا عهده غير زائل
فان كنت موقوفا لديك فمرحبا ... وان كنت ماكولا فكن انت آكلي
فهل انا الا من صحابةِ هاشم ... وهل انا الا ضيف نخبة وائل
واني سأبقى ماحَييت نصيركم ... اعطرّ باسم الفضل شتى المحافل

ولم اكد اتم القصيدة حتى قام وقبلني وقضينا سهرة لطيفة وودعته وخرجت وبقينا على الصحبة طوال مقامي في عمان .

بشير الأنس

اقام معهد الفنون الجميلة في بغداد حفلة في قاعة فيصل وهي حفلته السنوية وذلك مساء الخميس الواقع في ٢٩ نيسان سنة ١٩٤٣ فحضرت الحفلة وسمعت الطلاب واعجبني منهم طالب من طلاب الصف السادس المنتهي وقد عرفني به الشريف محي الدين رئيس المعهد وهذا الشاب هو السيد جميل بشير وقد طربت لعزفه سماعي جديد لم اسمعه من قبل لحنه جميل واسماه سماعي ديوان فقلت :

(جميل بشير) انك سوف تغدو ... بشير الأنس بالفنّ الجميل

اذا داومت سعيك باطّراد ... على استاذك الفذّ النبيل

قليل في البلاد اذا عددنا ... عباقرة الفنون بكل جيل

و(محي الدين) كنز العرب منهم ... هو الترياق للفن العليل

لقد منّ الزمان به علينا ... وهذي نعمة المولى الجليل

وهذي فرصة فلنقتنصها ... فمنها ما بقوميَ من بديل

فلازمه ولا تتركه يوما ... من الصبح المبكرِ للأصيل

وكن كالظلّ متبعا خطاه ... فنجم الشيخ قارب للأفول

وحاذر أن يغرّك أي مدح ... واطراء من الجمع الجهول

ومن جهلوا مقامات الأغاني ... وايقاع الخفيف من الثقيل

فما تصفيقهم مهما تعالى ... على حسن الاجادة بالدليل

و « ديوان الساعي » فيه روح ... بديع السبك أحرى بالقبول

فان تبغي مقاما دون «مشق» [1] وذا يحتاج للزمن الطويل
عن الأشياخ خذ من كل نوع وفرعٍ «بَستَةً[2]» قبل الرحيل
« ودوّنها » خصوصا ماطوته يد الأيام لاتك بالملول
ففي النغم القديم لنا تراث عظيم الشأن جلّ عن المثيل

* * *

ومافي كثرة الآلات فخرٌ ولا فيها شفاء للغليل
فدع عزف الكمان لبعض وقت ومتّنْ ضرب عودك (عالقليل)
وشغل الذهن في شيئين مضنٍ لمن يختصُ بالفن الأصيل
وموسيقى الأجانب دع هواها وسر في نهج قومك للوصول
الى أوج العلى بالفن حتى يقال غدا جميل" في الفحول
ولكن بعد ماتضحي فريدا بعودك في المقام وفي الاصول
فخذ ماشئت من نغم وضرب عن الأفرنج تلعب بالعقول
وشجّع من به للفن ميل" ولاطف أهله رغم العذول
وخذ عني وصاة أبٍ شفيق جميلُ بما يليق من القبول

---

(١) المشق في بغداد عند الموسيقيين يعني التمرين على العزف .
(٢) البستة : الأغنية بالعراق .

لغـز

وقلت ملغزا في عسل النحل :

أي مخلـوق عجيـب ... مـادرى معنى الأمـل

عـمره يقضيـه دومـا ... بـين جـد وعـمـل

في رياض الزهر يلهـو ... وغـــذاه بـالـقبـل

وبـــه نفـع وخـير ... ضربـوا فيـه المثـل

اقلب اسم اللسع منـه ... فترى اسمَ النفـع ظل

واسمـه بالعكس يبدو ... وقـع لـحـن لايسـل

ويـل للعروبة من بنيها

لمـا طال بي الحال في عمان وانقطع الطريق بين دمشق والاردن ارسلت لطـه باشا الهاشمي كتابا اطلب فيه التطوع في الجيش العراقي وقد بلغني انهم يشكلون فرقة عربية تجمع شبان العرب يحضرونها خوفا من الطوارىء فلم آخذ الجواب وكررت الكتابة فلم يجب فقلت :

أخي طـه كتبت الـيك أرجـو ... قبـولي فـي التطـوع للنضال

وكـررت الكتابـة غـير أنـي ... حرمت مـن الجواب على سؤال

وهذى الحرب قـد دارت رحاها ... وصار الحـكم للسمر العـوالي

فـان تقبـل وان نـأبى فانـا ... بـلا شـك سندفـع للقتـال

لأن الحرب ليست غـير صيـد ... يصـاد بهـا الضعيف بلا جدال

ومـا المقصود منهـا في البرايا ... سوى أمثالنـا أهـل الخيـال

رضينـا بالقيـود بـلا حيـاء		كأنـا قـد خلقنـا لـلنكـال

ترى الأقـوام في كـل النواحي		يعـدون الجنود الـى الـنزال

ونـحن برغـم كثرتنا انفرطنـا		كعقـد لآلـىء بـين الرمـال

سوانـا للأمـام مشى ويـمشي		ونـحن كـأننا بـول الجمـال

فـأصبحنا ولـيس لنـا كيـان		كـأنـا لانعـد مـن الـرجال

وفي القطريـة العميـاء كـدنا		نضيـع الملك في قيـل وقـال

فـان لـم نتنبـه ونعدُ حـالا		معدتنـا لأحـداث الليـالـي

هلكنـا والالـه بنـا عـليـم		بـأنـا سائـرون الى الـزوال

فـويل للـعروبـة مـن بنيهـا		اذا ظـلت بهـذا الانـخـذال

من غيري أهل للهوى

المرحوم عبد الحميد المالح المعروف بعبد الحميد باشا كان من أعز أصدقائي اخف الناس روحا وكنا نقضي واياه اياما وليالي في البسط والانشراح وكنا نختلف ونتشاجر في بعض الاوقات فننقطع عن بعضنا اياما ثم نعود ، ومرة مزحت معه مزاحاً قوياً فقاطعني واطال هجري فارسلت بعض الاصدقاء للاستفسار منه فعادوا وبلغوني انه شديد الغضب ولا يمكن ان يصفح عني ابدا لاني قلت عنه كما بلغه الواشون انه دنيء سافل وقال : الا يعلم فخري اني من عائلة شريفة فاضلة وقال انه يعلم من اسراري اشياء كثيرة ولكنه لايبوح بها لانه يحبني حبا صحيحا فقلت هذه الابيات وارسلتها له فعاد وعدنا الى صداقتنا :

رويدك ياعبد الحميد وسر مهلا ... فانيَ أدري ان في أهلك الفضلا

اتقلب جدا ماهزلنا به اذاً ... فرأسك من سخف لقد طلق العقلا

أتغضب مني والدعابة عادتي ... ولم أتجاوز معك في عمري الهزلا

قضيت زمانا في تصافي ودادنا ... تروح وتغدو العمر (بالأهلا والسَّهلا)

وكم مرة فيها اختصمنا وبعدها ... رجعنا ولم نجتز بغضبتنا القولا

تقول بجد أن حبك مفرد ... وانك بالاخلاص في الموقع الأعلى

وانك تدري السر سري حقيقة ... وفي الصدر تخفيه وتكتمه فعلا

فان كنت تدري مايشين بسمعتي ... وتزعم أني في محبتكم أولى

وانت حبيبي لِمْ سكتَّ ولم تكن ... صريحا فتهديني لما يدفع الويلا

تقول بأني مسرف هل ظننتني ... سأبقي عقيب الموت في «جيبتي ملا»[1]

(١) الملّ في النقد الفلسطيني هو ما يعادل القرش في النقد السوري.

بعمري لم أحفل بشيء جمعتــه لنفسيَ زاد المال في الجيب أم قلا

وما دام عرضي سالمـا لايهمنــي اذا عرَّض الدنيا بأجمعه ولّــى

أجبني بحقي إن تركت زيـارتي وزدت على قلبي النكاية والدلا

أتقدر أن تخلي فؤادك من جوى تسكن حتى كاد يورثك الخبـلا

فيازينة الأصحاب عد لي مواصلا فما كان غيري في الهوى للهوى أهلا

تخشى من الحبل

كان لي صديق من السياسيين انقلب عدواً لي بلا سبب غير الغيرة والحسد فقلت فيه:

(أبو فلان) بهـذا العصر متصف لدى الرجال بنقص العقل والجدل

أضاع بالحمق اسما كـاد يرفعه للمجد بين بلاد العُرب والدول

كم ذا ادَّعى خدمة الاوطان في خطب رنت لشدتها في السهل والجبل

ان كـان مايدعي حقا عليـه اذن أن يقرن القول هذا اليوم بالعمل

يروم نيل المعالي دون تضحيـة مـن غير جود ولا بذل ولا بدل

يفر عنـد اشتداد الخطب منهزما في كل معركة جبنا بـلا خجل

لكنه رغم هذا الجبن ذو طمـع بالمجد يطلبـه بالدس والحيـل

شَبَّهته بفتـاة كـاعب ولعـت بالـ (شيء) لكنها تخشى من الحبل

دفـع البـدل

وقلت وقد ارسلتها من موضع المفارة الى بكري افندي الهبل :

في ١٤ كانون الاول عام ١٩١٥ وبئر المفارة في صحراء سيناء موقع فيه سبع آبار بينه وبين موقع الجفجافة ست ساعات والقصيدة وصفت بها حالتي وكنت ضابطا في الجيش العثماني سافرت مع فوج لمحافظة صحراء سيناء وكل فصيل من قطع الفوج ارسل الى ناحية من نواحي الصحراء وانفردت القطع من العريش الى قلعة النخل وكانت ناحيتي بئر المفارة فقلت :

بلـّغ العـمَّ أبـا بكر الهبـل ... ان فخري «للمغارة[1]»قد وصل

ثـم هنـّـه كثـيرا حـيثمـا ... قبلوا العام له دفع « البدل[2] »

وكـذا ياريـح روحـي بلغـي ... عن شقـاء التيه أو ما قد حصل

ان أرض التيـه قفـر بـلقـع ... ان مشاها المرء يعروه الكلـل

كم قطعت السهل والحَزْن بهـا ... كم صعـدنا جبلا بعـد جبـل

ليـس لـلانسان فـيهـا أثـر ... لا ولا فيهـا لـراجٍ من أمـل

غـير خلق لست أدري وصفهم ... أوحش الاقوام قد عاشوا همـل

ليـس فيهـم صـورة مقبـولة ... عيشهم أشقى حيـاة من جعـل

قبلنـا في الارض مـن دنياهـم ... لم يروا خلقا سوى شكل الجمل

ليس فـي التيـه بـلاد لا ولا ... في نواحيـه أبـا بكـر طلـل

---

(١) المفارة : موقع في صحراء سيناء وهو سبع آبار .

(٢) البدل : هو المبلغ النقدي الذي يدفـع للحكومة مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية .

يا لتلك الارض من أرض فما جازها الانسان الا واختبل
أو قضى الاسبوع في أنحائها عاد منها يرتدي ثوب العلل
سقر منها استمدت حرها ونهار المرء يُقضى بالشلل
وأخوك العاجز الداعي فكم (قتلة[1]) من بردها ليلا أكل
قملها كالنمل في وِفرته كل «قمله» ياأخي قدر «الدحل[2]»
فمن «السبع[3]» الى بئر «الحفير[4]» ذقت أهوالا بها دمّي مصل
«والقصَيمة[5]» مع بئر «المواسير[6]» فيهما النحس مع التعس نزل
«والحظيرة[7]» فبـ«الحَسَن[8]» ويحهما من ربوع عنهما الخير رحل
اقرأ الكتب وأسفار الألى سلفوا أوما الينا قد وصل
لن ترى للزرع من ذكر بها زرعها من عهد نوح قد محل
وبها ربيت ذقني للدفا وبرأسي الشيب من حزني اشتعل
لاتسلني كيف قد جئت لها مكرهاً كان أخاك لا بطل

---

(١) قتلة : اهل دمشق يقولون للمضروب بالعصا أو السوط أكل قتلة ويقصدون بها الضرب .

(٢) الدحل : هو كرة من الحجر أو الزجاج يلعب بها الاطفال وتسمى كلة .

(٣) السبع : بئر السبع موقع في الصحراء وهو معروف .

(٤) الحفير : بئر في الصحراء .

(٥) القصيمة : «

(٦) بئر المواسير : «

(٧) الحظيرة : «

(٨) الحسن : «

لـو وصفت التيه وصفـا لائقا	لاعترى « الأبْعَد» من قولي خبل
لعنـة الله علـى أرجائـه	دائمـا ماطـار طير أو نـزل
يـارعى الله دمشق الـشام مـن	جنة بالخـير خصت (من أزل)
كـل مـا فيهـا بديـع طيـب	وجـواد الأنس فيها قـد صهل
يـا لفخـري انني مـن أهلهـا	وبهـا قومي وربعي والخـول
كـم بهـا هيفـاء كالشمس اذا	ما انثنت بالغصن ازرت والأسل
كم بهـا ظبي سبى أهـل النهى	عند هز الخصر أو رَجّ الكفـل
روضها النامي علـى غـدرانها	في البرايـا أصبحا ضرب مثـل
كم قضينا مـن أويقات الصفـا	في ربـاها حينما الدهر عـدل
كم نصبنـا شركـا في دوحهـا	لاصطياد الغيـد ربات (الدلل)
مذ تـركت الشام أبكي بعدهـا	فلعلـي أرجع الشـام لعـل
وتحيـاتي ختامـا صغتهـا	لأبي بكـر بهـا عشـر قبل
وليعشْ في الشـام نشوان وان	شاء يبقى في الهوى دوما (سَطَلْ[1])

---

(١) سَطَل : اهل الشام ومصر يقولون للحشاش اذا شرب الحشيش وضاع رشده هذا مسطول والقصد هنا اذا شاء ابو بكر ان يبقى عمره مسطولا .

قلبي مدبـول

كنت اتوسط لدى الأمير عبد الله بن الحسين راجيا تعيين عمر زكي الأفيوني باحدى الوظائف ووعدني بذلك ولكنه تأخر عن اصدار الأمر بالتعيين فذهبت للمقر الأميري عدة مرات ولم اتمكن من محادثة الأمير لكثرة زواره فارسلت الى الشيخ فؤاد الخطيب هذه القصيدة :

أخي فـؤاد ذهبت الامس منتظرا — لقيا الأمير ولكـن كان مشغولا

وقبل ذلك للديوان جئت ولـم — أجد مجالاً لعرض الحال مقبولا

وقبلها زرتـه في القصر مقتنصا — من وقتِهِ ساعـة أبدى بها قيـلا

فلم أجـد فرصة اذ كان مجلسه — مـدى الزيارة بالزوار مأهـولا

حتى يئست لسوء الحظ من عمل — بالفعل أحسب نفسي عنه مسؤولا

وصاحبي عمر أضحى يطـاردني — وكدت أصبح من لقياه مخجولا

ومـن قضيته مـع طول مدتهـا — قلبي غـدا قسما بالله (مدبولا)

لذاك جئتك أرجـو أن تساعدني — على الزمان لكي أقضي به السولا

فان رأيت أمـير العرب منشرحاً — فارفع كتابي ليلقى منه تسهيـلا

وان رأيت انقباضا فيه كن حذرا — حتى تلاقي طريق الخير مصقولا

والله أرجو بأن يجزي مساعيكم — خيرا ويفتـح بابا كـان مقفولا

ويلهـم الخير مولانا الأمير وفي — عين العنـاية يبقى العمر مشمولا

قلب الاجانب مقفل

وقلت وقد قدمتها للأمير فيصل في ١٣ ربيع الآخر عام ١٣٣٦ الموافق ١٩١٧ وذلك يوم وصولي الى موقع « الكوَيْرة » بين العقبة ومعان بعد وقوعي اسيراً في بئر السبع بيد الانكليز والتحاقي بالثورة العربية الكبرى وكان الأمير فيصل من اعضاء جمعية عربية الفتاة التي انا احد اعضائها ايضاً وهو قائد الجيش الشمالي مخيما في الكويرة .

احييك عن قومي تحية امة ... تريد حياة باسمك اليوم فيصل
تمد لك الأيدي التي قد هززتها ... تذكركم بالعهد والذكر أجمل
وأبناء قطر الشام باقٍ جميعهم ... على عهدهم ماضون لم يتحولوا
وها أنا ذا أبدي اليكم رسالة ... من الوطن المكبوت أني مرسل
ففي الشام يامولاي قوم تفطرت ... قلوبهم حزنا على من تقتلوا
وما فعل الأتراك في آل يعرب ... عظيم وأعظم بالالى قد تحملوا
فأبنائنا طراً لفك عقالهم ... من الأسر في الدنيا عليك توكلوا
وكل شعوب الأرض تسعى ولم يعد ... سوانا على الأقوال من يتوكل
ولو لم تقم فينا قيام مجاهد ... فماذا ترى كنا بذى الحرب نفعل
وليس لنا بالكون غيرك ناصر ... وعن حبنا قلب الأجانب مقفل
ولا نرتضي حكم الأجانب ساعة ... وحاكمنا بالحق والعدل فيصل

رصف الكلام

طالعت قصيدة للاستاذ سعيد عقل يصف فيها دمشق هزتني وهزت كل من سمعها مطلعها :

سائليني حين عطرت السلاما — كيف غار الورد واعتلّ الخزامى

وكان قبل بضعة أسابيع نشر زجلاً شعبياً في مجلة الاذاعة السورية لم يكن موفقا فيه وقد اثار ضجة كبيرة بين الأدباء وكنت ممن لام الاستاذ عقل لاشتغاله بمثل هذه السفاسف ولكني لما قرات القصيدة قلت :

من يظن الشعر في رصف الكلام	أو بلغو القول من غير نظام
فهو طفل في قوافيه ولو	نسج الأبيات من خيط الغمام
انما الشعر الذي يرقصني	دون أوتار تناغي أو مدام
هو وحي كلما رددته	هزّ قلبي وبرى مني العظام
بمعان هي كالجوهران	نظمت حار بها عقل الأنام
كفتى لبنان « عقل » حينما	يقرض الشعر ويشدو كالحمام
فهو في الشعر رصينا أن شدا	مُعْرِباً يشفي المعنّى من سقام
استمع ما قال واعجب من فتى	يبدل الوحي بمبذول العوام
« تمتم المجد وناغى حلمه	فوق زنديك اذ المجد غلام »
فسعيد شاعر مبتكر	وله في دولة الشعر مقام
واذا ماجال في أزجاله	تصبح الأشعار من لغو الكلام

نفخ الأبــواق

لما انتقلت من داري في محلة القنوات في دمشق الى كيوان للـدار الجديدة ، ازعجني ضـرب الأبواق التي كانت اصواتها لاتفتر مـن الصباح الباكر الى قرب الظهر ومن العصر الى غروب الشمس في كل يوم حيث كان الجنود يتمرنون على نفخ الابواق فكتبت هـذه القصيدة الى رئيس اركان الجيش السوري الزعيم شوكت شقير سنة ١٩٥٦ فاصدر امره بنقل فرقة الابواق من ثكنات البرامكة الى المزة واراحني من اصوات الابواق .

ياشوكة الخير ياقصدي ويا أملي أبواق جندك قد ضاقت بها حِيَلي

قرع الطبول وصوت البوق صبح مسا في كل يوم يسوق العقل للخلل

مالي سواك لأنجو اليوم من تعب ومن عذاب ومن بؤس ومن خبل

فلا الرئيس (الأتاسي[1]) اليوم ينقذني من الضجيج ولا (القدسي[2]) ولا (العسلي[3])

تقدم السن أعياني وحطمني وصرت أقضي طـوال اليوم (بالزعل)

أقل صوت على الأعصاب يزعجها حتى حفيف جناح الطائر العجل

فكيف بـالله والأبـواق صاخبة مـع الطبول بلا كـل ولا ملل

فأصدر الأمر يا ابن «الشقيري» بأن يكون تمرين نفخ البوق في الجبل

فالجند في الحرب حصن العرب واجبهم دفع العدى بالمواضي البيض والاسل

وفي السلام ليبقى الشعب في دعة تأمين راحتـه في سائر السبـل

أدامك الله ذخـرا للبلاد وعـش بالـخير واليمن والاقبال ياأملي

(١) السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية بذلك التاريخ .

(٢) السيد ناظم القدسي رئيس مجلس النواب بذلك التاريخ .

(٣) السيد صبري العسلي رئيس الوزارة بذلك التاريخ .

هجر الدلال

الشيخ حمد الصالح الحميضي من تجار الكويت البارزين تصادقت معه بعد ان تعارفنا ووصلت الصداقة لدرجة الاخاء وفجاة انقطع عني فكتبت اليه :

هجر الدلال من الاصحاب يُحتمل ... ان كان رائدهم من بعد أن يصلوا

ان كان هجرك عن دِلٍ رضيت به ... بعد البعاد يطيب الضم والقبل

أو كان هجرك عن بغض فهل سبب ... يدعو الى قطع حبل الود يارجل

عرفت في «حَمَدٍ» وداً به ارتبطت ... قلوبنا مابه « دخ ولا دخل »

«ياصالح» الاسم يامن فيك بغيتنا ... كن صالح الفعل مع من كله أمل

وعدتموني وما زرتم فوالهفى ... اني اسامح أصحابي وان مطلوا

اذا هتفت لكم كيما اخابركم ... أجابني عنكم الاتباع والخول

وكم وضعت لكم في بيتكم خبرا ... فظل قلبي بنار الشوق يشتعل

اني حريص على ودي فان تجدوا ... لقطعه سبباً ياسيدي «اصطفلوا»

وعندها أرسل الركبان منشدة ... «ودع هريرة ان الركب مرتحل»

وبعد ان اخذ القصيدة عاد لزيارتي كلما زار دمشق وبقينا الى اليوم اصدقاء .

موت الحسّاد

زرت الامير عبد الله بن الحسين في الديوان في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة الواقع في ١٩٣٩/٩/١ وكانت العادة ان يزوره في الديوان كل يوم جمعة الشخصيات البارزة من الذين لهم صلة به من البكوات والبشوات الذين « بكوكهم وبشوشهم » ، وقد زرته في ذلك اليوم بعدما تصالحنا كما مر في غير هذا المكان وبعد ان وصلت الى الديوان ذهب الشيخ فؤاد باشا الخطيب الى غرفة الامير واخبره بحضوري وعاد يدعوني للمقابلة فدخلت وكان الامير وحده واستقبلني استقبالا حارا وبعد ان تناولنا القهوة دعاني الى طعام الغداء في يوم ترك لي تعيينه فقلت يوم السبت غداً وكان دعا في ذلك اليوم قنصل تركيا في فلسطين وشرقي الاردن للغداء ثم ودعته وخرجت الى قلم الديوان واذا باحد خدامه يقدم لي عباءة من عباءات الأمير مع كوفية وعقال وفي الوقت المحدد للدعوة ذهبت الى المقر العالي حيث تناولنا طعام الغداء وذلك في ١٩٣٩/٩/٢ وبعد تناول الطعام قمنا الى قاعة الاستقبال وشربنا القهوة وقرات له هذه القصيدة التي نظمتها بعد ان اهداني العباءة .

اذا الحساد ماتوا اليوم قهرا	وأعدائي اذا ذاقوا الحماما
فلست بسائل عنهم جميعاً	فعبد الله أعطاني الذماما
لبست (عباءه) فغدوت فيها	أميناً حيث لاأخشى الأناما
كبردة جدّه منحت لكعب	فنال بها الكرامة والمراما
ومن أولاه سيدنا ذماما	وعطفا منه حاشا أن يضاما
وعهدا قد قطعت مدى حياتي	بأن أهوى البهاليل الكراما
وأن أهدي أمير العُرب قلبي	وودي سوف أجعله غراما

ولما وصلت بالانشاد الى البيت الرابع جعل يصفق ويقول اعد واعادني قراءة البيت عشرات المرات ثم قال اتعرف ما جائزة هذه الأبيات قلت مولانا ادري قال جائزتها نشرها في جريدة الف باء قلت نعم فارسلها ونشرت فيها.

الأمانــة

لحديث الأطفال :

ان الأمـانة في الرجـال مزيـة　　مـمـدوحة فـي سائر الأقـوام
ولـذا الأمين يعيش طول حياته　　متمتعـاً بالعـز والاكـرام
ويحوز من ثقـة العموم مفاخرا　　عنهـا يقصـر رب كـل مقام
والمصطفى المختـار كان بعصره　　نعـم الأمـين لأمـة الاسـلام
سيروا كما سار الأمـين لترفعوا　　مجـد العروبـة ياصغـار الشام

صحبـة الـكتب

عاتبني صديق لانقطاعي عن زيارته . وذلك بعد ان عدت مـن عمـان وحالتي المالية كانت مضطربة فقلت :

يقول خليلي لـم تركت زيارتي　　وكنت قديمـا لاتقاطعني يـوما
فقلت كرام الناس ان أيسروا غدت　　زيارتهم تترى الى صحبهم دوما
وان سلب الدهر الخؤون نعيمهم　　وأضحوا بفقر قاطعوا الخال والعما
مخافة أن يلقـوا شماتة شـامت　　بهم أو صديق جاهل يكثر اللوما
فدعني بحـالي فانزوائي بمنزلي　　وصحبة كتبي وحدها تطرد الهما

ويل للمحامينا

يوم الجمعة الواقع في ١٨/٨/١٩٤٤ دعا السيد خالد العظم اعضاء مؤتمر المحامين العرب الى قصره في دمر وقد ألقيت هذه القصيدة في الحفلة بعد انتهاء المدعوين من شرب الشاي ، وكان اللبنانيون منطوين على الحذر منا .

حي العروبة والغر الميامينا — صحابة القوم أخيار المحامينا
أهلا وسهلا باخوان لنا دلفوا — الى دمشق ورحبا بالمحامينا
من هزهم واجب الاخلاص فابتدروا — لعقد مؤتمر زاه بوادينا
يامن عقدنا عليهم حين دعوتهم — آمالنا فأجابوا صوت داعينا
خلوا التغني بأمجاد لنا سلفت — ليس التغني بماضي العرب يكفينا
أعمال أجدادنا التاريخ سطرها — وليس ينكرها حتى أعادينا
ضموا الطريف الى ذاك التليد فان — نفعل فقد قر عيناً مجد ماضينا
ان الخطابة والتصفيق وحدهما — حول الموائد شيء ليس يجدينا
ياقومنا نظريات الحقوق اذا — ظلت بلا قوة التنفيذ تؤذينا
حبالة العلم ان لم تتركوا أثرا — بعد اجتماعكمو رحنا كما جينا
بلادنا بعد ذاك المجد قد تركت — نهب القوي عصورا تحمل الهونا
وليس من سبب الا تفرقنا — أبناء عمي كفانا ماجرى فينا
فقبر عيسى ترى الافرنج من زمن — للموسويين اهدوا مع فلسطينا
وذي «أوروبا» ببحر الدم قد سبحت — والحرب هذي طوت منها الملايينا

وليس فيها سوى أهل الصليب فما — عــذر الذين بهذا البعد يسعونا

يكفي اذاً يابني عمـــي مـــواربة — ولا تخــلوا التجافي بيننا دينــا

يا آل لبنان مدوا اليوم أيديكم — للاتحــاد كما مــُـدت أيادينــا

لاتفرقوا وتخافوا مــن تقربنــا — فالاتحــاد مــن الأغيــار يحمينا

وهذه فرصة جــاءت فان ذهبت — فغيركم بعــد هــذا من تلومونا

فلا تفضوا بحــق الله جمعكـم — من قبل أن تضعوا أسّاً ينجينــا

أساً على العلم نبني فوقه وطنــا — يقوى به العرب في عصر المغيرينا

فان فعلتم فأنتم أهــل بجدتهــا — وان وهنتم فويــل للمحــامينــا

دستور الزعامة

وقلت سنة ١٩٣٩ بعد قتل الشهبندر وتصدر بعض المتزعمين لاظهار زعامتهم :

عجبت لمن يفكر بالزعــامه — ويحصر في تَطلبها اهتمامه

ويعدو خلفها طول الليالي — ومنها ليس فيــه ولا علامه

خصوصا بين شعب ليس يعطي — لغير المصلحين به زمــامه

مُسوّدٌ نفسه عن غير علم — ليحترموه يفتقــد احترامه

ومن طلب السيادة دون حلم — واخلاص وبذل واستقامه

ولو لبس التقى بردا قشيبا — وفوق الرأس كوّرها عمامه

وفي ظل الاجانب لو تولى — أمور الشعب مع لقب الفخامه

فلا يجني على مــر الليالي — سوى الهزء المرير مع الندامه
الا ان الزعيم عليــه تبدو — علائم نبــله منــذ الفطامه
زعيم القوم من يحمي حماهم — ويشهر في أعاديهم حسامه
زعيم القوم يدفع كل شرٍّ — ويرفع عن مواطنه الظلامه
وفي قول الحقيقة لا يبــالي — بما قاسى وان لاقى حمامه
فان يبلــغ مناه يعش عزيزا — وان (يقضي) فقد لقى الكرامه

ترك العوائد ذنب

كان لي اصدقاء اساعدهم بقدر استطاعتي وجهد طاقتي ولما ادار لي الزمان ظهره قطعت اضطراراً عن بعضهم صلاتي المرتبة فاستاءوا مني ولم يعذروني فقلت :

ترك العوائد مهما كان بــاعثــه — ذنب عظيم لدى المحروم ذي العدم
فلا تعوّد أخا بؤس على صـــلة — رتيبــة تعقب الاحسان بالنـــدم
لكن كما اتفق الاحسان مل فبذا — تكون قدمت ماتسطيع من كرم

الفكر والالهام

القيت يوم الثلاثاء الواقع في ٢٦ ايلول سنة ١٩٤٤ في حفلة الفداء التي اقامها وزير المعارف لوفود ادباء البلاد العربية التي امت دمشق لحضور مهرجان المعري :

أصغى الحديد وقالت الأقلام ... لما ازدهى بذرى البيان الشام

وتلفتت مصر وساسة أمرنا ... فيها وألقت سمعها الأهرام

صوت العروبة في لثها أعلامها ... دوّت به الاغوار والآكام

الله علّم بالبيان فأنشئت ... دُوَل عليه وشعّبت أقوام

صبغ السياسة قد يحول وصبغه ... قرت به الأحداث والأيام

نور من الحق المنزه ما مشى ... ختل بساحته ولا ايهام

أنتم بناة الروح ان زل الذي ... يبني وعدته قنا وحسام

فتداركوها أمة عربية ... عبثت بوحدة روحها الاوهام

ما خشيتي أن لاتزال حواجز ... قد خطها المسّاح والرسّام

الخطب كل الخطب أن تتناكر الآ ... مال أو تطغى بنا الأحلام

وتحول عن طبع الكريم طباعنا ... ويغول نور ضميرنا الاظلام

ما أسرع البرء الصحيح لمدنف ... ان لم يهدّم روحهُ استسلام

رسل العروبة في شريف لسانكم ... الصادقان الفكر والالهام

كونوا نداء ضميرنا في موقف ... أمست تصارع حوله الأقلام

يالله لاتتفرقوا من قبل أن ... يجلى بكم نهج العلى ونظام

الى أم كلثـوم

اقمت لام' كلثوم في داري حفلة موسيقية اريتها فيها رقص السماح من طلاب المعهد الموسيقي الشرقي وذلك في ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٥ ولما عادت الى مصر ارسلت لي هذه البرقية :

دمشق فخري بك البارودي :

لااستطيـع ان اعبر عـن شكري للرعايـة التي لقيتها ويلقاها فـن الموسيقى منك .

فاجبتها بما ياتي :

برقيـة وصلت مـن أم كلثـوم	أخذتهـا من يد الساعي بتعظيم
ياكوكب الشرق شكرا لا يعادله	شكر على لفتة نحوي بتكـريم
اني أكون سعيداً لو عطفت على	الفـن القـديم بانشاد وتنغيـم
فأهـله جلهم عقوه مـن كسل	بل أضعفـوه بتخدير وتنـويم
فعالجيـه بحـق الله مخلصـة	لتنقـذيـه بتثبيـت وتقويـم
أبقـاك ربي لبعث الفن مفخـرة	عيشي ودومي لنا يا أم كلثـوم

ابكوا على الوطن

اقامت اللجنة الخاصة التي تشكلت في عمان حفلة تابينية بعد مرور عام على وفاة المرحوم حسن خالد باشا ابن ابي الهدى الصيادي رئيس وزراء شرقي الاردن ودعوني لالقاء كلمة فقلت وذلك في كانون الاول ١٩٣٩ والذي دعاني هو مصطفى وهبي التل وطلب مني ان تكون القصيدة من بحر البيت الآتي : وعلى رويّه :

هل تذكرين وأنت من غزلانه ... وادي الشتا والعمر في ريعانه

فقلت :

ماذا يفيد الدمع من تهتانه ... اِمّا بكى شاك على اخوانه

ولسوف يوقعنا الردى بحباله ... والكل رهن اساره وهوانه

والميت هل يجديه تحت ترابه ... دمع يسح عليه من أخدانه

والذكر لايبقى لصاحب رتبة ... ان لم يكن يحمي الحمى بسنانه

والحر يخلد بالفعال وانما ... من لم يعش حراً فعبد زمانه

والاسم في التاريخ يبقى مشرقا ... ويظل صنو الدهر في دورانه

هذا انو شروان كسرى لم يزل ... في عدله حيا وفي ايوانه

فدعوا البكاء على الرجال فموطني ... جهل الزعامة آخذ بعنانه

وابكوا على الوطن الشقيّ فاننا ... لأحقُّ من يبكي على أوطانه

فمصابه قد كان من أبنائه ... فمن الأعادي ثمَّ من جيرانه

فاذا أنا عربدت لاتتعجبوا ... فالهمُّ أسكرني بخمر دنانه

فالأجنبيُ لـه الرئـاسة بيننـا والخـائنـون تمتعوا بأمـانـه
وترامت الأنـذال في أحضـانه «واستسلمت ومضيت في عصيانه»
والوغـد يرتع كيف شاء بغبطـة والحرُّ يقضي العمر في احـزانه
ولـذا أقـول بحرقة متمثلا والفكـر مني تـاه في بحـرانه
« هذا زمان ليس يـدري أهله ما فضل صاحيه على سكرانه »
وطـن العروبة وهو أشرف موطن قد كاد يقضي النحب قبل أوانه
وطنيـة الانسان في أفعـاله ليسـت بمنطقـه ولا ببيـانـه
فالشعب ينهض باتحـاد رجالـه ونظـامه والصـدق في ايمـانه
وأبو الهـدى حسن دعوه فانـه ان شـاء ربي خـالد بجنـانه

العلم العربي

في سنة ١٩١٨ التحقت بالثورة العربية الاولى ووصلت العقبة مع المتطوعين من الضباط العرب في الجيش العثماني الذين وقعوا اسرى في الحرب في موقعة بئر السبع بايدي الانكليز وكان الامير فيصل قائد الجيش الشمالي للثورة في موقع الكويرة يشكل اللواء الاول من الجيش العربي النظامي ووصلت الى الكويرة عند انتهاء تشكيل اللواء وكان عدده اربعة آلاف جندي كلهم من ابناء العرب الاسرى الذين التحقوا في الثورة ويوم تسليم العلم وهو اول علم عربي سلم للجيش النظامي في حفل كبير جمع اكثر رؤساءالعشائر الذين التحقوا بالثورة وبعد ان سلم الامير فيصل العلم لقائد اللواء وانتهت المراسم وقفت وسط الجميع والقيت القصيدة الآتية فلم يبق قائد او ضابط او رئيسعشيرة او بدوي الا بكى ولا اقدر ان اصف شعوري آنذاك وما تجلى علي من اطياف الاتي ومرور جيوش الوحدة العربية بالنظام والاعتدة والاسلحة التي رايناها في الجيوش الاوربية ، فقلت :

جددوا عهد الاباة الثائرين	تحت رايات الغزاة الفاتحين
واقرؤوا تاريخ أجدادكمو	ان فيه عبرة للقارئين
انهم قد دوخوا فيما مضى	دولا قادت زمام العالمين
سخروا بالموت لما رفعوا	راية العز بأيدي الثائرين
أي انسان يرى أمته	رفعت بالحق ضد الغاصبين
علما يجمع في ألوانه	رمز تاريخ الجدود الغابرين
ثم يخشى الموت في نصرته	فهو نذل في عداد السافلين
عاهدوني انكم في ظله	ستظلون كطود ثابتين

واْنهضوا وامشوا الى ساح العلا انكم ياقوم خير الناهضين
واعلموا فالنصر مكتوب لكم ان ظللتم باتحاد سائرين
واكتبوا في دمكم سطرا به قد فتحنا لكم الفتح المبين

احذر كل انسان

قلت في رجل صادقته أكثر من ثلاثين سنة وسعيت بتعيينه في عدة وظائف درت عليه الخيرات وكفته ذلّ السؤال وكان لئيم الطبع فجزى الاحسان بالاساءة :

لاتأمنَنْ لانسان وان ظهرت منه المحبة في سر واعلان
لأنه بشر والغدر عادته فاقبل وصاتيَ واحذر كلَّ انسان

المن

جمعني مجلس مع وجيه متبجح جعل يفتخر بأعماله الخيرية ويظهر للجالسين انه يتفضل على بعض اصدقائه بالصدقات فقلت :

البخل أفضل من جود تمن به خير من المن بعد الجود حرمان
فلا تكدر اذا أعطيت ذا عدم يا فاعل الخير ما بالمن احسان

كلنا وطني

القيت هذه القصيدة في المجمع العلمي عقب محاضرة الاستاذ احسان الشريف يوم الجمعة وقدادرجت في جريدة العمران ومجلة العروس عدد ١١ المجلد ٩ سنة ١٩٢٣ .

ان التبجح بالاخلاص للوطن ... أضحى سجية كل الناس في وطني

فما سألت من النشء الجديد فتى ... عن أي شيء ولم يذكر به وطني

ولا اجتمعت بشبان وما ندبوا ... حَظ البلاد وحَظ الشعب والوطن

وفي البلاد من الشبان من حصروا ... الايمان واحتكروا الاخلاص للوطن

أما الألى أحرزوا من أي مدرسة ... عليا شهادتهم هم عمدة الوطن

ولا مررت بشيخ عاجز هَرِم ... الا رأيت به عطفا على الوطن

ولا صحبت أديبا فاضلا لسناً ... الا واسمعني شيئا عن الوطن

ولا عرفت بقومي شاعرا غردا ... الا تغنى بحب العُرب والوطن

ولا رأيت صحافيا صحيفته ... لايدعي انها وقف على الوطن

ولا حظيت (بذات من أكابرنا) ... الا وأظهر لي ميلا الى الوطن

ولم أزر تاجرا الا وبرهن لي ... بأن أعماله في (صالح) الوطن

ولست أذكر فلاحا مررت به ... الا وكال الدعا للشعب والوطن

ولا الموظف مهما كان مركزه ... الا ادعى شدة الاخلاص للوطن

حتى الألى هدموا أركان نهضتنا ... في يومنا أصبحوا من سادة الوطن

* * *

أما الذين ادعوا عقلا جميعهم (مع التحفظ) من أنصار ذا الوطن

وكل من جاز لي في الشرع رؤيتها من النساء دعت بالخير للوطن

وكل سيدة لابدَّ قائلة (اضرب بقلبي) على أبناء ذا الوطن

ولا التقيت بجاسوس وكلمني الا ادعى انه من فتية الوطن

ولا دخيل ولو بانت رطانته لا ينتمي بيننا الا الى الوطن

* * *

(فالأجنبي) وطني (والسرسري) وطني (والبلطهجي) وطني (يلعن أبو وطني)

وحاصل القول ماحادثت في زمني فردا من الناس لايحنو على الوطن

أما أنا دائما والناس تشهد لي أحنُّ شوقاً الى سلمى وللوطن

* * *

أي النوادي التي قد أسست وقفت مهما يكن شأنها لم تدع للوطن

كم انتسبت الى جمعية فشلت وكان تأسيسها في خدمة الوطن

وكم ثبت لحزب في البلاد ولم يكن له غاية الا علا الوطن

كم (شركة) أسست في الشرق مانجحت لكنها وضعت عنوانها وطني

كم ذا نرى لوحة في السوق زاهية فوق الحوانيت فيها جملة الوطن

فالمطعم الوطني والمسرح الوطني والمرقص الوطني والمسبح الوطني

اني لأعجب وايم الله من وطن أبناؤه لم يراعوا ذمة الوطن

مازلت أزداد في الاخلاق تجربة حتى وجدت قليلا منهمو الوطني

لذاك صرت أخاف الناس كلهمو حتى شككت بنفسي انني وطني

من ذا أصدق بعد اليوم في وطني ويلي عليك وويلي منك ياوطني

سلامة امتي

سجنت في قلعة دمشق مائة يوم وخرجت بعد المحاكمة بالبراءة فقلت بعد خروجي من السجن :

اذا كان في سجني سلامة أمتي   فلا نظرت عيني الى خارج السجن

* * *

فرح الواشين

وقلت في ذلك :

اذا فرح الواشون لادر درهم   بسجني وسجني من وشايتهم كانا

وحب بلادي منه كانت جريمتي   سأخرج من ذا السجن أكثر ايمانا

الصديق الوفي

الورد هو احب شيء الي" لم يفارق صدري منذ وعيت على وجودي وان الله رحمني بانه يهيء في كل يوم من ايام السنة وردة ازين بها صدري في اي مكان كنت فيه وقد سألني احد الاصدقاء عن سبب حملي للورد فقلت :

الورد أوفى صديق ظل" يصحبني   من مشرق العمر حتى هد"ني زمني

أحببته فجعلت الصدر منزله   أوليه حبّي في سري وفي علني

ما كان لي فرحة الا وشاطرني   بها السرور ولم يمنن على منن

في اليسر في العسر في يوم اللقاء وفي   يوم الوداع بروح الانس يسعدني

فان أقم دعـوة زينت مـائدتي به وباقـاته الزهـراء تغمـرني
أو عـلة نزلت بي فهو أول مـن يزورني ويـواسيني ويؤنسـني
وبعد موتي ودفني ، من يشيعني يعـود والورد في رمسي يعانقني
فهو الوحيد الذي يبقى على جدثي في وحدة القبر يبكي خادم الوطن

يـاعـود

العود هو اطرب آلات الموسيقى الشرقية ، سالني احـد الموسيقيين ان اصفه بابيات فقلت :

ياعود أنت على الأيـام معجزة" آياتك الغـر لاتحتـاج برهانـا
ففي رياضك كم ظلّلت مـن أمل وبعد قطعـك كم سليت أحزانا
وكم تغنّت طيور في مفـارحها عليك في الدوح لما كنت ريانـا
والآن تشجي فؤاد الدهر من طرب وقد يبست وكـم رددت ألحانا
وفي رياضك كم عصفورة رقصت والفجر يصحو على التغريد نشوانا
واليوم ياعود كم أرقصت غانيـة لولاك ماحركت في الرقص أردانا
ما فيك ياعود من عيب سوى حرد يزيد حينا فيبـدو منك عصيانا
ياعود لولا اختلال فيـك يزعجنا اذا حـردت على العوّاد أحيانا
لـما ضربت بمضراب ولا عركت يد لأصـلاحك المنشود آذانـا

والضحى والليل ..

صدر ضحى الاسلام للاستاذ احمد امـين ، ولم يصدر القسم الثاني والثالث من فجر الاسلام الذي وعد به الدكتور طه حسين والاستاذ عبد الحميد العبادي ، كما جاء في مقدمة الطبعة الاولى من فجر الاسلام التي تعهد بها الدكتور طه حسين بنشر القسم الادبي ، واشار في هذه المقـدمة ايضا الى تعهد الاستاذ العبادي باخراج القسم الثالث وهي الناحية السياسية. فارسلت الى الاستاذ احمد امين هـذه الابيات مستحثا بهـا الدكتور طه والاستاذ العبادي ونشرت في مجلة الرسالة .

(والضحى والليل) يا أحمد أمين — أنت في التاريخ ذخر الباحثـين

أنت فـي الآداب ركـن ثـابت — أنت في الاخلاق نـور المهتدين

أنت مهـدت سبيـلا واضحـا — كـان وعرا مرهقـا للسالكـين

فجـرك البـاسم أحيـا أمـلا — كاد يذوي في صدور الناشئـين

(وضحاك) الضاحك اليوم بـدا — مثـل بدر في ليـالي التائهـين

قـل لعبّـادي وطـه تمّمـا — نشر أجـزائكمـا للقـارئين

ان وعـد الحر ديـن فـالى الـ — وعـد واشفوا غـلة المرتقبـين

نحـن والاخوان في الشام على — مثـل حر الجمـر في المنتظرين

يحرك بالبنــان

بعد ثلاثة شهور من اقامتي في بغداد واطلاعي على أحوالها السياسية وتسلط الانكليز على الحكومة التي لم يكن في يدها اقل سلطة وذلك سنة ١٩٤٠

قلت :

حكومتنــا السعيدة ذات شكل نيــابيٍ يــدار « ببرلمــان »
ودستــور حمــاه مجلســان مــن الأعيــان والنــواب ثاني
وفي بغــداد قانــونٌ ولكــن بــلا وتر يحــرك بالبنــان
فيلعــب فيــه أرباب الكــراسي على توقيــع حاجــات الزمــان
وأعضــاء المجــالس لم يبالــوا بمــا تلقى البــلاد مــن الهوان
وأحــرار البــلاد بكوا دمــاءً على ما ضاع من عذب الأمــاني
فشعــب يرتضي هــذا حــريٌ بــأن يبكي على مــر الزمــان

تشطير

كنا في جلسة ليلة في المقر الاميري في عمان نسمر فاقترح الامير عبدالله ابن الحسين على الشعراء تشطير هذين البيتين :

بربك هل ضممت اليك ليلى قبيل الصبح أم قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في شذاها

فقلت :

بربك هل ضممت اليك ليلى وذقت الشهد يُجنى من لماها

وهل دغدغت نهديها لماما قبيل الصبح أم قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى وفاح المسك ريا من نداها

وأبصرت الملاحة في شعور رفيف الأقحوانة في شذاها

* * *

الروح الطليقة

سجنتني السلطة الافرنسية في قلعة دمشق مدة طويلة وابلغوني انهم لايطلقون سراحي حتى اعدهم باني ابتعد عن اخواني واترك السياسة ، فقلت:

اذا اعتقلوا جسمي فروحي طليقة وهل كان ذنبي أن أحب بلاديا

فان منعوا عني اقتراب أحبتي فما منعوا عن حب قومي فؤاديا

في المارستان

في سنة ١٩٤٧ اصابتني نزلة صدرية حادة فاضطررت لدخول المستشفى وكنت عقيدا متطوعا في الجيش السوري فادخلوني المستشفى العسكري وكان في بوابة الصالحية في البناية المعروفة بالاركان اليوم وقد وضعت الحكومة السورية يدها على المستشفى المذكور بعد خروج الافرنسيين وقسمته قسمين اخذت قسماً للاركان وابقت المستشفى في القسم الآخر. ومن المعلوم ان الدائرة التي يسكنها الجنود يصير فيها ضجة عظيمة وذلك ماجعلني اضجر من الضجة التي يحدثها الجنود والسيارات العسكرية خصوصا سرية المقر التي كانت تتعلم الاناشيد فتنشدها في الذهاب والاياب والصباح والمساء وبساطير المرضين الذين يسيرون فيها بالكاريدورات مما دعاني الى نظم هذه القصيدة وارسالها الى رئيس الاركان (اللواء عبد الله عطفه) وهي :

أهل المروءة مستشفاكم حسن	يديره بنظام خير شبان
نحو الكمال يسير اليوم متئدا	عسى يكون به فخر لأوطاني
لولا اغتصابكم ثلثيه ما ضجرت	مرضى الجنود الالى في قسمه الثاني
مازال فيه اساة العرب تعمل في	اراحة الجند من بلوى وأشجان
كأن مرضاه من عطف الاساة غدوا	في دورهم مع ذويهم بين خلان
أما النظافة اني لست أنكرها	وكل أعماله تجري باتقان
طعامه ما به عيب ولا (زغل)	وطهيه جيد من كل ألوان
نزلت فيه لأستشفي فشمت به	عطف الجميع وكلٌ فيه واساني
ولست وحدي الذي ألقى عنايتهم	بل الجميع استووا في ظل تحنان

لكنني سوف أشكو بعض منقصة — اذ كدت أفقد فيه «طبل آذاني»

كم لوحة علقوا في كـل ناحيـة — (نرجو السكوت) أقاموها باعلان

وبعد يوم مضى فيه ندمت على — دخوله حيث اني (عفت ايماني)

ولست وحدي الذي يشكو الضجيج به — بل الجميـع بهـذا شأنهم شأني

نشكو الصفير ولغط الجند صبح مسا — وسط الحديقة شكوى البائس العاني

من بعد تقسيمه أضحت دوائركم — كلاً عليـه وساءت بعد احسان

غلاظة الجنـد حلت في حديقته — بالآليات كأننا في (مارستان)(١)

وكل (موتورسكل) (٢) مرَّ قلت ترى — أصوت غول علا أم عزف شيطان

قرع البساطير(٣) في ممشاه تسمعها — من سهل حوران او أطواد عمان

(الكوردور)(٤) طويل ان همست به — دوى دويٌ رحى في قرب ايوان

صوت الخفير بنصف الليل تسمعه — امَّا علا (بورزان)(٥) وسط ميدان

جند السرية في التدريب يزعجنا — بل يزعج الناس من قاص الى دان

وقـع الأناشيد والأجناد تنشدها — قبل التمارين بعد الصبح أصماني

أين الهدوء هل المرضى قد اقترفوا — ذنباً فمنـه جُزوا ظلماً بحرمان

---

(١) البيمارستان : كلمة فارسية معناها المستشفى وقد حرفها اهل الشام لفظا ومعنى فهي على السنتهم مارستان وفي افهامهم مستشفى المجانين .

(٢) « موتور سكل » الدراجة النارية .

(٣) البسطار : جمعه بساطير حذاء الجند الغليظ المصفح بالحديد .

(٤) الكوريدور : الممر بين الغرف .

(٥) البورزان : هو بوق الجنود المعروف .

رأيت مستشفيات الغرب هادئـة　　لكنها عنـدنا حمـام نسوان

فأمر بتهدئة الأعصاب حيث نرى　　جنديّنا بارتياح (كالقمندان)[1]

هيـا انقلـوه أثاب الله فعلكـم　　لمزة الشـام أو أنحـاء كيوان

تـأمين راحتنا في ظل عهدكـم　　فرض عليكم جزيتم كل احسان

وما وصلت القصيدة الى رئيس الاركـان حتى اصـدر امره بالتزام الهدوء وبتغيير بساطير الجنود المرضين باحذية لايسمع لها صوت عنـد المسير نعالها من لباد ومنعوا جميع السيارات من المرور قرب المستشفى واصدر الامر الى جميع القطعات بعدم الصفير ومنع الضجيج فاسترحنا واستراح المرضى .

مثل اسباني

قرات مثلا اسبانيا يقول يجوز الكذب في محلين عندما تحدث امراة وعند وقوع الخطر فنظمت ذلك بقولي يباح الكذب في اربعة اوقات .

الكذب ممنوع لـدى الانسان　　عنـد الشعوب بسائر الأديـان

ولقـد قرأت اليـوم في تجويزه　　مثلا عـزوه لشـاعر اسبـاني

مثـل يقول الكذب دوما جائز　　في حالتين على مـدى الأزمان

في حالة الخطر الشديد وعندما　　يتحـدث المضنى مـع النسوان

وأنا ازيد عليـه في صلـح اذا　　ماتـم فيـه سلامـة الاخـوان

أو خدمـة مـأثورة لبلادنـا　　فيهـا صلاح الشعب والأوطـان

---

(١) قمندان : رتبة في الجندية الافرنسية وهي تساوي رتبة المقدم.

لرامي ورسوله

دعتني وزارة المعارف الى بلودان لحضور جلسة من جلسات مؤتمر الادباء فذهبت وذلك في سنة ١٩٥٦ وقضيت ليلة بين ادباء العرب واكثرهم من اصدقائي واخواني وفي نهاية السهرة اجبروني على النوم في الفندق الكبير في بلودان ولما لم يكن معي منامة (بيجامة) ذهب شاعر شباب النيل الصديق الحبيب احمد رامي واحضر لي منامة وسلمني اياها بيده وعرف رقم غرفتي وذهب وما كدت اقلع ثيابي الا وباب الغرفة يقرع ودخل غلام جميل وضع على المنضدة كيسا صغيرا فيه شيء من الكمثرى ، وضع الكيس وقال هذا من احمد رامي وذهب بسرعة دون أن يقف لحظة فحضرتني البديهة فقلت :

يارامي القلب كمثراكم وصلت	مع الرسول فأهلا بالحبيبين
أهلا بنجم سرى كالشهب مسرعة	أو قبلة تتهادى بين ثغرين
أو بسمة من شفاه الحب خاطفة	أو لمحة النور مرت عبر جفنين
شكرا لفضلك يارامي فانك في	معارج الذوق زدت اليوم في عيني
أدامك الله للاخوان مفخرة	وقدر الله لي ايفاءكم ديني

وفي الصباح ارسلت له الابيات فكانت حديث القوم وانتشرت بسرعة بين المؤتمرين وبينما انا واقف مع بعض الادباء والشعراء وكل منهم يتقدم مني ويقدم لي قبلة وهي الضريبة التي وضعتها على الشبان واذ باحمد رامي يأتي من بعيد واسرع نحوي يشكرني على الابيات فقبلته قائلا هذه القبلة لله ورسوله ليس لي فيها اقل غرض فقال لا ان قبلتك ليست لله ورسوله انما هي لرامي ورسوله فكانت نكتة الاسبوع .

ننتف بلحانا

كان المجلس النيابي على وشك انهاء دورته ومرسوم اعادة فتح المعهد الموسيقي الشرقي الذي اغلق ابوابه بسبب حذف موازنته في العام السابق فيمجلس الوزراء تحت التوقيع وكانت الحوادث تمر والبلاد في اضطراب وخوفاً من انقلاب ياتي فيغلق المجلس ويبقى المعهد مغلقاً نظمت هذه الابيات وأرسلتها الى مجلسالوزراء وهو مجتمع فكانتالنتيجة انه صدق المرسوم.

أرجو من مجلس وزرانا — ان رام لقومي احسانا
اقرار مراسم (معهدنا) — لنعيد الفن كما كانا
وعلى كل فالأمر له — والخير منه نأمله
وأنا من قلبي أسأله — أن يعطي الأمر به الآنا
خوفا من أن يُمضي الشهرا — والمجلس يعطيه العمرا
والله بما يأتي أدرى — من بعد (فننتف بلحانا)

* * *

ميثاق البارودي

كان شبان البلاد دائما — عمدة الأوطان عند المحن
فعلى شباننا دفع الأذى — عن بلاد العرب طول الزمن
ان ميثاقي اذا قامت به — امتي فيه حياة الوطن
قاطعوا صهيون في كل الورى — من أقاصي الغرب حتى اليمن

حاصروهم لاتبيعوهم ولــو	قمحــة أو درة مــن لبــن
وكذا لاتشتروا مــن صنعهم	ماســة أو فتلــة مــن قطن
لا ولــو باعوكمــو منتوجهم	فــي فلسطين بعشر الثمــن
طمــع الأفــراد يفنــي أمــة	ان تنحوا عــن سويّ السنن
واقتلوا بالفعل مــن عــاملهم	في مجال الجــد أو في الددن
ان شعبا لايجــازي خائنــا	هــو شعب لائــق بالــكفن
قلــدوا الألمــان في تنظيمهم	وخــذوا بالثأر مثل الأرمــن

الأمــيران

بعد ان اصطلح الحال بيني وبين امير الاردن عبد الله بن الحسين منحني وسام النهضة من الدرجة الثانية تبديلا للوسام الذي منحني ايـاه والده الملك حسين بن علي ايام الثورة العربية وكتب عبد السلام بك كمال (فرمان) الوسام ولكن رئيس الديوان محمد بك الانسي اخذ امرا من كلوب باشا او ادعى بذلك ومنع الوسام عني فقلت :

غــريب أمــر عمــان	بهــا أضحــى أمــيران
أمــير يصــدر الأمــر	فيمحو أمــره الثانــي

* * *

حبــل الســلطان

كنت في عمان ملتجئا ولاحظت ان المقربين للأمير وحاشيته مطاليبهم تقضى بسرعة والمغضوب عليهم ينبذون نبذ النواة من جميــع الناس ولا ينفذ لهم طلب فقلت :

لاتنزلــنّ بعمّــان كملتجيء	الا وحبلك موصول بسلطان
فليس من أدب يغني ولا حسب	يجدي ولا حرمة فيها لانسان

شيوخ العرب لايعرفون الخوف

لما توترت الحال بين الافرنسيين والسوريين قبل حوادث ٢٩ أيار ١٩٤٥ ببضعة ايام ظهر الافرنسيون بمظهرهم العدائي السافر ضد الحكومة الوطنية ولم يكن للحكومة الوطنية من القوة غير الدرك وكان الجيش السوري بالاسم والافرنسي بالفعل مربوطاً بالافرنسيين وعرف الناس نية الافرنسيين فاقبلوا على التطوع طالبين التسلح وكنت نائباً عن دمشق في المجلس النيابي فتطوعت في ٢٥ أيار وعيّنت معاوناً برتبة مقدم لقائد قلعة دمشق العقيد رشيد عطفة واقبل الشبان على التطوع بالمئات وكلهم يطلب سلاحاً ولباساً عسكريا ولم يكن لدى الدرك عشر معشار ما يطلبه المتطوعون وقد امتلأت القلعة بالشبان فكنت تراها مثل يوم القيامة الناس قائمون قاعدون وكان أفراد الدرك يأخذون رواتبهم ويأكلون في دورهم ولما توترت الحالة واستنفرت قيادة الدرك الافراد لم يعد أحد يتمكن من احضار طعامه واسرعت الجمعيات النسائية في دمشق لاحضار الطعام لأفراد الدرك ولما كان الطعام الذي يحضرونه لايكفي اضطررنا لتأسيس مطبخ لتوزيع الطعام على الافراد المنتشرين من اول المدينة الى آخرها للمحافظة على دوائر الحكومة ودور القنصليات وكانت دمشق مغلقة فارسلت واستدعيت شيخ النحاسين وطلبت منه ادوات مطبخ كاف لاعاشة افراد الدرك في دمشق فذهب وجمع النحاسين وفتحوا حوانيتهم وارسلوا لنا مطلوبنا تبرعا دون أن يأخذوا الثمن وساعدنا المسجونون بهذا العمل وجعلنا نطبخ الطعام في السجن ونوزعه على الافراد في الأمكنة التي يحافظون عليها .

وفي يوم ٢٩ أيار ١٩٤٥ ضرب الافرنسيون القلعة والمجلس النيابي وكان النواب قد غادروا المجلس بناء على خبر وصل الى الرئيس المرحوم سعد الله الجابري فعطل الجلسة وصرف النواب وفي الليل اشتد ضرب المدافع وحامت الطائرات على القلعة ونحن فيها وكان تطوع قسم من شبان (رنكوس) الأبطال وجاؤوا الى القلعة يطلبون السلاح ولما لم يكن لدينا ابقيناهم في القلعة وصرنا كلما قتل جندي من الدرك اخذنا سلاحه واعطيناه الى احد الرنكوسيين أو غيرهم من المتطوعين وكان قد تطوع احد الطلاب الوطنيين ويسمى وفيق الحلبي ورافقني من يوم تطوعت الى أن تم الجلاء وسياتي

ذلك في مذكراتي مفصلا. ولما اشتد علينا الضرب خفت على السجن فأرسلت الى الوكيل شعبان امرا بفتح أبواب السجن فلم يقبل أمري الذي بلغه اياه وفيق الحلبي فذهبت مع وفيق نركض لاجباره على فتح الابواب خوفا على المسجونين ونحن في منتصف باحة القلعة انفجرت قنبلة طائرة بالقرب منا فانبطحنا واصابتني شظية في رقبتي ولم احس بها لما كانت حامية ودخلنا السجن واعطيت الامر الى شعبان بفتح الابواب للنساء والرجال وبينما نحن في ذلك الحال واذ باحدى الطائرات تلقي قنبلة كبيرة على احد (القواويش) فتهدمه على رؤوس المسجونين وكان بعض المساجين اشعلوا البريموسات وجعلوا يقربونها من الابواب الحديد ليفتحوا منافذ يخرجون منها ففتحنا لهم الابواب وجعلنا ننقل الجرحى الى الشكية ومنها الى المستشفى الانكليزي في القصاع ولم يكن مستعدا لقبول اي جريح لعدم وجود اسرة وادوات كافية فالتجات الى اهل محلة القصاع الذين اظهروا كل نخوة حيث فتحوا لنا ابواب النوادي وفرشوها بفرش استعاروها من بيوت الناس وقام كشاف القديس جاورجيوس بأعمال انسانية يشكر عليها فساعدنا باحضار الشموع وجمع لنا جميع اطباء المسيحيين الذين أجروا العمليات على ضوء الشموع ولما برد عليّ الجرح واحسست بالدم يسيل على رقبتي ذهبت الى (الشكيّة) وكان الطبيب لم يزل هناك فضمد جرحي وكان بجانبي وفيق الحلبي فسمعني ادمدم واغني والطبيب يضمد الجرح فقال لي بحدّة اتغني وانت مجروح ، فضحكت. وفي اليوم الثاني نظمت قصيدة لم يبق ببالي منها غير هذه الابيات الثلاثة .

أتلحى جريحاً ياوفيق اذا غنّى	وأعداؤنا يحصون أنفاسنا ضغنا
أغني لاوحي للخصوم بأننا	رجال بيوم الروع لانعرف الحزنا
وأعطي الى الشبان درسا يفيدهم	بأن شيوخ العُرب لاتعرف الجبنا

قلت هي ..

طلبت مني زوجة الأخ فارس بك الخوري ان انظم شيئا القيه في حفلة تكريم الآنسة مي (ماري زيادة) وقد نظمت الابيات الآتية التالية بناء على طلبها ويوم الحفلة دعوني اليها فحضرت ووجدت الخطباء قد تعينوا من قبل النادي وقدموا خطبهم الى المراقب المرسل من قبل السلطة الافرنسية اذ كان لايسمح لأحد ان يلقي شيئا دون مراقبة ، فصعدت الى المنبر دون ان اخبر احدا ولم اعط القصيدة للمراقبة فكانت مفاجاة للسلطة .

أنعم الله مساكم سادتي ... ومسا سيدتي (الآنسه مي)

زهرة في الشرق تزهو نضرة ... عبقت أرواحها في كل حي

ان يسلني بعض من يجهلها ... أيٌ مي أنت تعني قلت (هي)

أنا مفتون بآداب النسا ... هل ترى في ذاك من لوم علي

فهي أمٌ للعلى قد شبهت ... بالمعري شيخنا الفذ الأبي

لاتذوق اللحم من رأفتها ... وسواها يأكل الخاروف (ني)

ان أقف شعري على تمداحها ... طول عمري لم أوفر (شفتي)

غير اني الحق لا أكتمكم ... ربما أعجزني هذا الروي

لاتقولوا نحن أبناء الألى ... ورثوا المجد سرياً عن سري

ليس يجدي المرء الا علمه ... من بني غسان أو اشبال طي

لو غدا في الشرق سرب مثلها ... لسبقنا كل شعب بالرقي

نحيي المبادىء

كنت يوما من ايام عام ١٩١٥ ضابطا في الجيش العثماني وكانت فرقتي العسكرية الفرقة ٢٧ مقيمة في الناصرة وحواليها وكنت استاجرت غرفة في دار المختار واسمه ابو سامي وفي احد الايام اتت امراة من اقرباء المختار تشكو اليه نزول الدرك في دارها لتعقيب زوجها الفار من الجندية وانهم يطلبون منها الطعام والدخان والتنباك وانها واولادها لم يذوقوا خبز الحنطة منذ شهر وانها تأكل مع اولادها خبز النخالة فقط مع قشر البرتقال فمن اين تاتي للدرك بالطعام ، هل تبيع عرضها ام عرض بناتها وجعلت تبكي احر البكاء واولادها يعولون فتاثرت جدا من هذا المنظر وكتبت لها كتابا على لسانها الى قائدالفرقة ٢٧ التركية محيي الدين بك قنوات الارناؤوط ذكرت فيه ظلامتها وتعسف الدرك وقلت اذا كانت الحكومة عاجزة عن احضار جندي فار وهي تلجا لارهاق اهله وعياله لاحضاره فكيف تتامل الدولة بالانتصار في الحرب القائمة بينها وبين اعدائها . أخذ القائد كتابها وبحث عن القضية ولما ظهر له صحة كلامها امر قائد الموقع ان يمنع نزول الدرك على عائلات الجنود الفارين وبذلك تخلصت جميع عائلات المنطقة التي بها هذه الفرقة . ومن شدة تاثري قلت هذه القصيدة وانتشرت في فلسطين بين الشبان القوميين من ابناء العروبة .

يعنفني قومي بحبّي بلاديا وسفك دمي في حبها ليس غاليا

واني وقفت النفس عن طيب خاطرٍ لأجعل شأن العُرب في الكون عاليا

اذا هبَّ قومي كنت أوَّل ناهضٍ وان قعدوا كنت الخطيب المناديا

وفخري بفخر الأهل عزّي بعزّهم ومن حزنهم حزني يثير بكائيا

فكم أمة ثارت بعزمة صادق تُحطّم اغلالا وترغم عاتيا

ونحن قعودٌ نرتضي الضيم منزلا ولا ندفع الخصم القويَّ المعاديا

على اننا كنا كراما وزيّنت مآثرنا تلك العُصور الخواليا

أرى الترك لم يلقوا رشادا بحربهم … وان ركبوا صعبا وخاضوا فيافيا

لقد وهموا بالحرب حتى رأيتهم … أضاعوا بلاداً كالنجـوم زواهيا

ونادوا بنـا انّ الجهـاد مقدس … فكان الندا كالطبل في الريح خاويا

وقد سقطت ارض العراق وأصبحت … على فصلها منهم تجيد الاغانيـا

كذلك أرض الروم زلزل ملكها … وحلّ بها (المسكوب) سهلا وواديا

وحاز وسام الامتيـاز جبالهـم … لرجعته في التيه خسـران خاسيا

ولو انه في مصـر حلت ركـابه … لما ظل هـذا القطر عمران راقيا

وبعد انكسار الترك في كل وقعة … تلقـب سلطـان البرية غازيـا

الى كم نقاسي الخسف والعسف منهم … ونُغضي على الضيم المذل تحاشيا

فكم حـرم منا ابيحت ستوره … وكم رجل بـات الليـالي طاويا

وما تفعل الأنثى وقد غاب بعلهـا … وأولادها باتـوا جياعا بواكيـا

وقد باعت الاشيـاء حتى ازارها … ولم تبق في الدار التعيسة باقيا

هناك هناك الهول ياويل من درى … ويا ويل من يرضى الخنا والمساويا

هنـاك تراهـا فكرت بعفافهـا … ودانت لحكم الدهر ترضى المخازيا

وبعد اللتيـا والتي وافتقارهـا … وجـوع صغار تستهين المهاويا

فيا شقوة الانثى تبيـع عفافهـا … رخيصاً وعرض العرب يعهد غاليا

لاعجب من قوم يرون الذي جرى … ويبقون من أبنـاء توران ثاويا

وأعجب من هـذا دخول شبابنا … بحرب ستفنينـا لنحيي الأعاديـا

فما أبله الشبان من حيث جاهدوا … أكانت عمى أفعالنـا أم تعاميـا

فمن شاء أن يحيا حياة شريفة يعاضدني فعلا ويمشي ازائيا
وها انني قررت دون تردد على النفس أن أغشى المنية راضيا
فاما على هام النجوم مقامنا واما الى قبر فنحيي المباديا

لا عليّ ولا ليا

اكمل احد الطلاب الفحص السنوي في مدرسة تجهيز عمان وتبلغ خبر ترفيعه الى صف اعلى وبعد ان داوم شهرا في صفه الجديد واشترى الكتب اللازمة عادوا وابلغوه انه راسب في الصف السابق فراجع مديرية المعارف العامة فلم يلق اذنا صاغية وجاءني يوسطني لدى وزير المعارف وكان الوزير هو الشيخ احمد السقاف قاضي القضاة السابق في عمان وهو صديق لي فقلت على لسان الطالب :

اذا كنت لا أشكو اليك ظلامتي لمن ياترى أشكو همومي ومابيا
وزير المعالي أنت والله منصف وأنت رئيس الكل مُحيي الأمانيا
بحقك يا سقاف الا أعنتني على الدهر بالانصاف واسمع ندائيا
ففي فحصي الماضي تأخرت مرغما وفي مبدأ التدريس فقت الأواليا
وتممت اكمالي وفزت وليتني رسبت فلم أشغل بفوزي باليا
فداومت في صفي الجديد مباشرا دروسي شهرا لا عليّ ولا ليا
واني اشتريت الكتب بالنقد كلها فراجع قيود الصف تعرف دواميا
ومن بعد شهر بلغوني بقولهم جرى غلط فارجع لصفك باقيا
فسلهم لماذا رفّعوني أولا ولِم ثم أبقوني بصفيَ ثانيا

وهب انني حقا رسبت فهل ترى لغلطة غيري أن أذوق شقائيا
وما القصد من ارساب فرد معذب يجد ويسعى كي ينال الأمانيا

فامر الوزير بان يقبلوا الطالب في صفه الجديد وهكذا كان .

رحلة ...

سافرت الى اوربا على ظهر باخرة ايطالية تدعى (اندريا) وهي باخرة كبيرة فيها كل ما تشتهيه الانفس وكان بين ركابها بعض شبان العرب المسافرين الى الآستانة للتحصيل العالي وكان اكثرهم يتصنع في حركاته مقلدا الافرنج في حركاتهم تقليد القرد للانسان فنظمت هذا الرجز وارسلته الى صديقيّ خليل مردم بك واحمد شاكر الكرمي صاحب جريدة الميزان :

الى الخليل الشاعر الفنان مع قبلة لصاحب الميزان
أهدي تحياتي مع السلام وقبلتي لحافظ الزمام
وبعد : ان جاز سؤال الصحب عني فاني حامد لربي
وأنتم كيف الجناب العالي عساكم بالخير والاقبال
ليتكم صحبي معي في رحلتي كنت بكم أسلو هموم غربتي
يا اخوتي ما أجمل الربيعا وسير (أندريا) بنا السريعا
حيث ترى مناظر الطبيعه في قمم عالية منيعه

ما أبدع الاشجار في الجبال　　مكسوةً بحلل الجمال

قسمها خضراء كالزمرُّد　　كأنها طرة ظبي أمرد

شامخة والبحر من جلالها　　أحلامه تبدو على أذيالها

وكلما هبَّت عليه الريح　　كأنما فيه تدب الروح

في مدِّه يقدِّم التحيه　　للساحل كفينة تركيه

وجزره عند رجوع الموج　　شبهته مثل جواري الكرج

هناك تبدو بهجة الامواج　　كسلكم مفضض الادراج

فان علَت كلَّلها الشعاع　　تاجا به تحير الصناع

أو هبطت ترى شعاع الشمس　　يجعلها أخت حباب الكأس

* * *

غروب الشمس

ولن يُرى شيءٌ بطول العمر　　أجمل من شمس هوت في البحر

يخالها الانسان فيه تنزل　　والبحر لايعنى بها أو يحفل

كأنها في ساعة الأصيل　　عذراء شامت طلعة الخليل

ويبتدي عناقها للماء　　بحمرة كوجنة الحسناء

وهي توارى بانقباض وألم　　يعجز عنه واصفاً أي قلم

مناظر ليس لها مثال　　شعر جمال روعة جلال

أول شكل تشبه (البالونا) (١)　　أصبحت في منظره مفتونا

---

(١) البالون المنطاد .

ثم غـدت كعبـة مـن نـار | مـن حسنهـا تبلبلت أفكـاري
ولـم تـزل تغيّر الأشكـالا | حتى حكـت بشكلـها الهلالا
وجعلت تصـغر حتـى الـذرة | ثـم اختفت غائبـة بالمـرة

* * *

البواخـر

وفي الربيـع تحمـد الأسفار | وتكثر السيـاح والخطـار
وتزدهي الجبـال والأشجـار | وتنجلي الشموس والأقمـار
وقـد غـدت بواخر الأجانب | نظامهـا يسـر كـل راكب
كـأنها مـدائـن سيـاره | جميعهـا بالكهربـا منـاره
غـرفهـا جميلـة نظيفـه | قاعـاتهـا كبيرة لـطيفـه
وفرشهـا منظـم جميـل | وهـو بديـع مالـه مثيـل
والسـير فيهـا ليس بالمُمِلِّ | تجمـع مايلـزم للتسـلي
(فسينمـا) وآلـة للبـرق | مـن غير سلك وهي في ترقِّ
وكلمـا يلـزم للانسـان | تحضـره اشـارة البنـان
تجمـع كـل حابل ونـابل | يظنهـا الانسان برج بـابل
مـن كثرة اللهجات واللغات | مـع اختلاف اللون والعادات
ويلزم السائـح غـير لغتـه | معرفـة لسان غير أمتـه
واليوم أضحت لغة الافرنسِ | همزة وصل بين جـل الأنسِ

منشورة في الكرة الأرضيه ولغـة المحـافل الرسميـه

* * *

وعصبـة الاقـوام في لـوزان تجـري بهـا مقـادر الانسان

تعليمهـا أضـر من ضـروري للعـاجز المحكـوم والمأسـور

لأمـة تسعـى الـى النهـوض تسبح في بحـر من الغمـوض

ومن يكن مثـل بني « سوريه » ينشـد في حيـاته الحـريـه

وعيشـة طيبـة مـرضيـه حتـى يساوي الأمـم الغـربيه

عليـه أن يدرسهـا كي ما يقف مـع ابنهـا وقفة حـر لا وجف

مـن بعد أن يحسن درس لغتـه احسـان من يرجو حيـاة أمته

درسا صحيحا لا كبعض الخلف شبان هذا العصر أهـل الصلف

من درسوا بالغـرب أو بالشرق وفاخـروا الاقـران بالتـرقي

وأخـذوا شهـادة طـويـله أطـول مـن(بريشة الاركيله)

وخدءروا أعصابنـا بالقـول ولـم نر فضـلا لهـم بالفعـل

من فتنوا (بالبدلة) الجميـله والهيئـة المنفـوخـة الثقيـله

كأنمـا الواحـد منهم مشجـب قد(فلقوا)الدنيا بـ(تحياالعرب..)

في عمرهم لـم يصدروا كتـابا ولا رأينا منهمـو (ضرءابـا)

مـا ألفوا مذ شرفوا ما ترجموا ما نفعـوا أبناءنا بـمـا علمـوا

بـل برزوا بالرقص و(البوكير) و(العلك) و (المودة) و (التعتير)

واحسنوا العشرة والكلاما يمشون بالاسواق بالبيجاما

واستصغروا دون حيا بلدتهم ولم تعد حياتنا رغبتهم

قد خسّروا أهلهم الالوفا وجُلّهم عاد لنا منتوفا

لم يدرسوا الاقدام والثباتا ولم يروا (فباركا) بتاتا

لايكتبون جملة صحيحه وينكرون اللغة الفصيحه

فلا أجادوا لغة الأفرنج وما أفادوا صنعة (الكندرجي)

ماحَصّلوا علما ولا اقتصادا بل كان تحصيلهمو فسادا

ليس لهم جمع يفيد الوطنا والفرد منهم لايزيل الشجنا

يعزون دوماً عدم النجاح لنا بجد القول لا المزاح

فلا همو يأتوننا بفائده بل حسبونا كالوحوش الشارده

أحدهم ان لم يكن مأمورا دوما تراه حاصرا مقهورا

أو علقت يداه رجل الكرسي تلصق حتى ينطوي في الرمس

وقد غدت مابيننا الأوطان سفينة ليس لها ربان

بين قديم وحديث أصبحت كريشة فيها الرياح لعبت

وضاعت الآمال بين ذا وذا ونحن في ليت لعلَّ حبّذا

أما الألى تخصصوا وفازوا على سواهم وعلوا وجازوا

فهؤلاء زينوا الأوطانا وملؤوا قلوبنا ايمانا

بغير علم نافع يا صحبي تبقي بلادي لقمة للغرب

فادعوا الى العلم الصحيح الباني للسجد مجد العرب والأوطان

اذ ليس للبلاد من خلاص   من أسرها بغير الاختصاص
وفي الختام أجمل التحيه   للعرب ممن يخدم القضيه
والله أرجو أن يعز الوطنا   دوما لنحيا بسلام وهنا

بعد موتي

بعد موتي أمتي تعرفني   فأنا في أمتي كالعافيه



المحتوى

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تصويب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٦	١٥	من	في
٥٥	١٠	بيرت	بيروت
٦٢	١٤	اخذها استئجاراً	اخذها استثماراً
٨٨	٥	مائلت من مني	عطف أميرنا
٩٣	٢	لخفقته	لخفته
١٠٦	١٢	العُرب الأكرمين	العُرب قومي الأكرمين
١١١	١٤	جحتاً	جمتاً
١٤١	١٥	سؤال	سؤالي

S

Bach

